الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ
بوالصوف -ميلة-

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

الملمح الكاريكاتيري في "المقامة البغدادية" لبديع الزمان الهمداني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي

إعداد الطلبة:
*- سليمة براهمة
*- سمية هنوس

إشراف الأستاذة :
-شهرزاد بوسكاية

السنة الجامعية: **2019/2018**

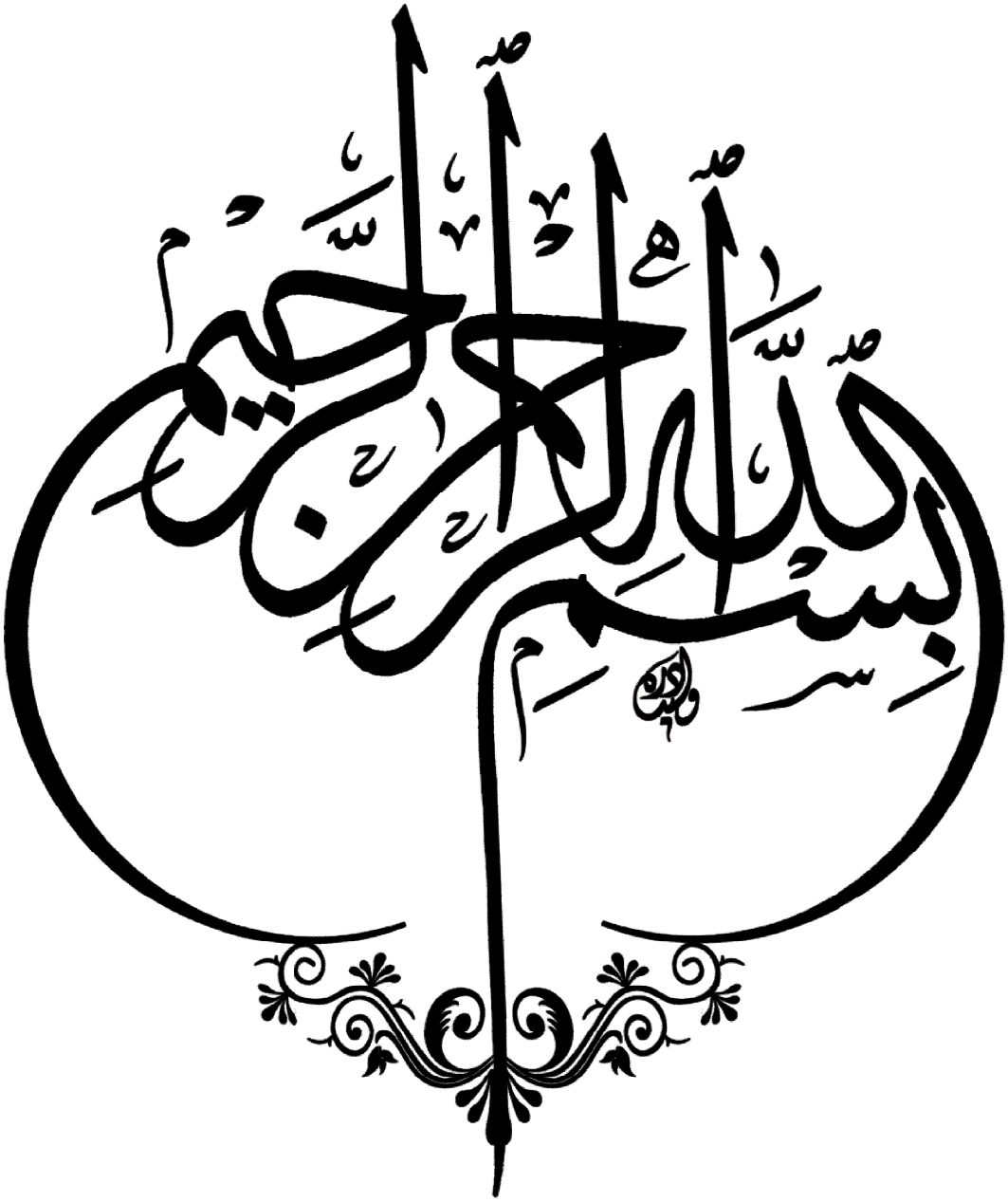
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الدي جعل الشكر مفتاحا لذكره ، والصلاة والسلام على خير خلقه نبيه الصادق الأمين وأهله الطيبين الطاهرين وصحبه العز الميامين

وأنا على مشارف نهاية بحثي هدا لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستادة "**شهرزاد بوسكاية**"التي تحملت عبئ هذا البحث ولم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها العلمية وإصرارها على إخراج هدا العمل في أحسن صورة

مقدمة

مقدمة :

كانت الأخبار والنوادر والسير كلها تحكي عن حياة الإنسان ،فجاءت في قالب سردي إبداعي ، فقد كان السرد ومن بين شتى الأساليب هو الوحيد المنسجم مع سجية المبدعين والمعبر بحق عن مختلجات صدورهم والناطق الرسمي باسم وجدانهم ، فقد كان خفيف الوقع على الوقع على النفوس لأنه يبوح بالمقصود والمراد دون تكلف،وهنا نلمس فائق العناية التي يوليها الأدباء للأسلوب و دلك ما هو إلا انعكاس للاهتمام الفائق بالفكرة في حد ذاتها والصورة التي تطرح بها، وللسرد حضور بارز و جذور في مختلف الأجناس الأدبية على اختلافها وتنوعها ،هده الأجناس التي ترفض الجمود والرتابة وتنحوا منحى التطور والاستقلالية،فهي تتأقلم ،فهناك أجناس أدبية تظهر ولم يكن لها وجود سابق،ويختفي بعضها بعد أن كان له حضور قوي،فالمقامة مثلا لم تكن موجودة قبل العصر العباسي ثم طرأت ظروف سياسية و اجتماعية هيأت لظهورها ، وأعقبت بعد ذلك عوامل استجدت عملت على زوالها ، لكن ذلك لا يمنع من القول أن المقامة أيقونة الأدب شكلا ومضمونا ،فهي مأخوذة الفكرة عن الأدب الفارسي والغرض من كتابتها هو إظهار البراعة و حفظ متن اللغة وتصوير حالة طائفة من الأدباء الفقراء، ويمتاز أسلوب المقامة بالالتزام بالسجع وكثرة المحسنات البديعية وامتلائها بغريب اللفظ كما أنها جمعت بين الشعر والنثر وظهر فيها التكلف ،ولاشك في أن مقامات بديع الزمان الهمذاني تعد فتحا جديدا في محاولة كتابة القصة القصيرة في القرن الرابع الهجري صور من خلالها البيئة الاجتماعية التي عاش فيها

،جاءت بأسلوب ساخر فاخر بقدر ما تضحكك تعريك وتضعك أمام هشاشة ذاتك ،فقليلون هم من برعوا في الأدب الساخر ، فهو التمرد على الواقع الاجتماعي والثورة ضد البديهيات التقليدية سواء كانت سياسية أو اجتماعية فهو انعكاس للواقع بكل تناقضاته جمع بين الذكاء ،ولعلي لو تحدثت الدهر بطوله لن أفي هدا الأدب حقه،لكن يمكن القول أن المقامة البغدادية استطاعت أن تكون النموذج المثالي على هدا اللون الأدبي وتختصر في باطنها الكثير من خصائصه و مؤشراته،فقد قدمت صور كاريكاتيرية في قالب فكاهي تهكمي ، كما حملت حشدا مكثفا من للمعاني من خلال المبالغة في التضخيم أو التقزيم وكدا تشويه الصورة المراد نقدها

تكتسي دراسة "الملمح الكاريكاتيري في المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني "أهميتها من مدى عمق وحساسية الكاريكاتير كفن ولج إلى النص الأدبي، وكسره للمألوف والمعروف ، فقد كان يعرف بكونه عمود في جريدة أو عدد في مجلة، فالصورة التي يعتكف عليها الأديب يرصد تفاصيلها الأدق هي وحدها القادرة على خلق التميز، وهي في كثير من الأحيان اللبنة الأولى التي ينطلق منها الفنان التشكيلي فيقوم بتجريد المعاني ونقلها إلى شكل فني أخر .

الهدف من هده الدراسة هو تسليط الضوء على الكاريكاتير كفن دخيل على العالم السردي، وإظهار أبعاده السياسية والاجتماعية والفكرية في نص المقامة البغدادية، ودوره في تمرير رسائل تهدف إلى تنوير العقول وغرس الوعي في الناشئة.

وقد كان اختيارنا لهدا الموضوع راجع لأسباب عدة موضوعية وذاتية نذكر منا عل سبيل الحصر لا على لإجمال:

- كان الدافع الأول هو تلبية لرغبة الأستاذة في التطرق لهذا الموضوع.
- تجاوز لمخاوفنا من صعوبة الموضوع، و إثبات لقدرتنا في التعامل معه.
- محاولة اقتحام شيء جديد وكشف أغواره وتنمية زادنا المعرفي.
- قلة الدراسات التي تخص الكاريكاتير بالعناية
- الرغبة في إبراز قيمة التصوير الساخر في التصدي للتصدعات التي يعاني منها المجتمع.

خضنا البحث برؤيا خاصة ومغايرة جعلناها طوع إرادتنا، هدا ما جعلنا نطرح العديد من التساؤلات أهمها:

ما هي المقامة ؟ وما هو الكاريكاتير؟ وما هي أهم المشاهد الكاريكاتيرية التي يمكن رصدها داخل متن نص المقامة الهمذانية ؟ وكيف ظهرت صورة الفقير بين ساذج بريء يمثل أخلاقيات المجتمع، وفطن محتال يعكس انقلاب القيم ؟

و إدا عدنا للدراسات العلمية التي تناولت الأدب بشعره ونثره نجد أن المقامة قد لاقت الكثير من العناية حيث عكف على دراستها وتحليلها الكثير من العلماء وأنتج فيها الكثير من المؤلفات منها: المقامة لشوقي ضيف، أصول المقامات لإبراهيم السعافين، و فن المقامة بين البديع والحريري و السيوطي لمحمد أمين مصطفى وغيرها الكثير.

أما الدراسات السابقة عن الملمح الكاريكاتيري فهي نادرة جدا منها دراسة "الملمح الكاريكاتيري في الرسالة الهزلية لابن زيدون" للطالبتين حسيبة سالم ورفيقة قوادرة .

وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي تناول الظاهرة بالوصف والتحليل،وتتكون هده الدراسة من فصلين سبقتهما مقدمة ومدخل و تلتهما خاتمة وملحق.

- مقدمة
- مدخل:جاء كإحاطة عامة بالموضوع و لإزاحة بعض اللبس والغموض على كثير من الأمور فقد تطرقنا إلى الحياة السياسية والتحولات التي طرأت عليه والحياة الاجتماعية وما طرأ عليها من انقلاب للقيم و الحياة العقلية وتأرجحها بين الازدهار والانحطاط .
- الفصل الأول: تحت عنوان "مفاهيم إجرائية" عمدنا في هدا الفصل إلى التعرف على بعض المفاهيم وكانت المقامة أول ما عرجنا عليه من حيث المفهوم والنشأة والخصائص وكذا أغراضها والهدف منها ثم الكاريكاتير ومفهومه و كيف انتقل من الرسم إلى النص السردي؟ لنأتي بعدها إلى تخصيص الدراسة أكثر والتعرف على المقامة البغدادية من خلال تعريفها و الكشف عن البناء الداخلي لها.

- الفصل الثاني:بعنوان "المشاهد الكاريكاتيرية" عمدنا إلى تقسيم المقامة لثلاثة مشاهد هي كالتالي : مشهد التهكم، مشهد المبالغة في الوصف، مشهد التقزيم.
- خاتمة: جاءت كحوصلة شاملة للنتائج التي توصلنا إليها من خلال الدراسة و التحليل.

و لتيسير التعامل مع التساؤلات السابقة الذكر استعنا في بحثنا هدا بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها: النثر الفني في القرن الرابع لزكي مبارك ،فن المقامة بين البديع والحريري والسيوطي لأحمد أمين مصطفى، سميائية فن الكاريكاتير السياسي لماجد سالم تريان،وكتاب السخرية في أدب المازني

وهدا البحث كغيره من البحوث واجهتنا خلاله الكثير من الصعوبات التي نترفع عن ذكرها والتي تخطيناها بالتوكل على الله وبجهد منا وبتوجيه من الأستاذة المشرفة "الدكتورة شهرزاد بوسكاية " والتي نتقدم لها بجزيل الشكر والعرفان على كل ما قدمته لنا من إرشادات وتوضيحات ،ونشكر كل من ساهم في دعمنا من قريب أو بعيد حتى لو بالكلمة الطيبة ونسأل الله أن يوفقنا للتعامل مع إشكالية البحث وأن يفتح هدا العمل أبوابا جديدة للدراسة، وفي الأخير لكل شيء وإن تم نقصانه فإن أصبنا فمن الله وإن أخفقنا فمن أنفسنا .

ميلة يوم:13جوان 2019

مـــدخـــل

مدخل :

إذا ما عدنا إلى سجل تاريخنا العربي القديم وجدناه حافل بالأمجاد زاخر بإرث حضاري عريق، يطوي في ثناياه حضارات خالدة. شاء الزمن أن يبقيها مثالا حيا عن العطاء الذي أنتجه الفكر البشري مند الأزل، ولعل حضارة بني العباس كانت إحدى طلائع تلك الحضارات، حافظة على بقائها طويلا وصمدت لما يربو عن خمسة قرون وربع قرن حشدت نشاط أدبي ونقدي وإبداعي يصعب الإلمام والإحاطة به وبكل خصوصياته الفنية، فهو ومما لاشك فيه عصر التميز في شتى مجالات الحياة، وعُد بحق من أهم اللبنات التي أسست لقيام مجد الحضارة العربية ، فهو العصر الذهبي للعالم الإسلامي كله "وقد واكب هذه النهضة الشاملة نشاط أدبي ساير ظروف المجتمع العباسي، الاجتماعية والسياسية والثقافية وتجاوبت مع كل بيئاته وشاركت كل طبقاته انشغالاتها وهمومها، وكانت مرآة عاكسة للعصر معبرة عن مظاهره ملتفة إلى دقائقها وتفاصيلها حتى نخال أدبائها كتابا وشعراء ينقلون المشاهد بأدق تفاصيلها كآلة التصوير، كما لا تكتفي بإظهار المشهد وإنما تبدي الموقف النقدي من كل ما تقع عليه"[1]

لقد حاولنا على وجه العموم أن نحيط ببعض أهم الأحداث والوقائع البارزة ,وأن نلمس بعض النقاط الحساسة التي كانت بمثابة المنعرج الحاسم في مسيرة الحضارة العباسية والتي يجب الوقوف عندها فيما يخص مجالات شتى منها السياسية والاجتماعية والثقافية.

---

[1] _سكينة قدور:محاضرات في أدب العصر العباسي ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة ،2012-2013,ص3.

الحياة الاجتماعية

شهدت الحياة السياسية أرقى مستوياتها, فانعكس ذلك على مختلف الأصعدة كالحياة الاجتماعية فتجلت مظاهر الترف والبذخ والفحش في الثراء خاصة في العمران يقول الزيات "عصر الدولة العباسية هو عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل ولا من بعد"[1] ، لكن تلك النقلة الحاسمة في الحياة السياسية كانت بمثابة منعرج فاصل، أوهي بمثابة تغير زاوية النظر فمنح الحكم لغير أصحابه،فالأتراك ليسوا أهل لهذه المهمة العسيرة وبدلك فسد الجهاز الحاكم وبات اهتمامه بشؤونهم هو شغلهم الشاغل وانصرفوا تماما عن مصالح الرعية، فسادت الطبقية وقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات:

"طبقة عليا تشمل الخلفاء والوزراء والقواد والولاة ومن يلحق بهم من الأمراء وكبار رجال الدولة و رؤوس التجارة وأصحاب الإقطاع من الأعيان وذي اليسار"[2]

وتلا هذه الطبقة طبقة وسطى " تشمل على رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع الممتازين"[3]، ثم تأتي بعد دلك الطبقة المغلوب على أمرها والتي تكون خاضعة لأمر الطبقتين السابقتين "وهي طبقة دنيا تشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق وتأتي في تلك الطبقات أهل الذمة"[4]

كانت الطبقة الأولى تنفق أموال طائلة في تشييد القصور والإبداع في أدوات الترف والزينة، أما إدا عدنا إلى الطبقة الوسطى نجد فيها علماء العربية والفقه والتفسير والحديث يقدمون الدروس لتعليم الناشئة، ويخصون بدلك أبناء الولاة والوزراء ويستغنون في الأغلب

---

[1]_أحمد حسن الزيات :تاريخ الأدب العربي ،دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة ،القاهرة، د ط ،د ت ,ص120

[2]شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي 4,العصر العباسي الثاني ,دار المعارف بمصر القاهرة, ط2, د ت,ص53

[3]المرجع نفسه ص53

[4]المرجع نفسه ص53

عن أبناء الشعب أو يطلبون أسعار باهظة وهؤلاء من الطبقة المثقفة يتلقون أجورهم من الدولة إضافة إلى بعض المغنين الدين تتدفق عليهم الأموال من الدولة"[1]

أما بالنسبة للطبقة العامة من الرعية فقد كانت تحمل كل أوزار العمل وأعبائه في الزراعة والصناعة، عاشت ويلات الفقر والبؤس فظهر بعض المهرجين والقرادين وأصحاب الملاهي لإرضاء الطبقتين الوسطى والعليا وكذا طبقة من الأدباء المتسولين المسمون بالمكديين وكانوا خليطا من الأدباء والمتظاهرين بالنسك استعانوا بالحيلة من الشعر وكانوا يطلبون المال في كل طريق وكثر اللصوص في بغداد حتى غدو مصدر خطر عظيم في بغداد"

الحياة السياسية

كان الانتقال من حكم الأمويين إلى حكم العباسيين نقلة نوعية وفريدة من نوعها, فقد ترك الأمويون أثار واصلة الجذور إلى الحضارة العباسية "فكثير ما جرى في العصر العباسي كانت له مقدمات في أواخر العصر الأموي"[2] ودلك يترجم عجز الدولة العباسية عن التخلص من الإرث الحضاري الزاخر الذي خلفه بني أمية. فساروا على خطاهم في قضايا عديدة وأكملوا ما بدؤه ومن أمثلة دلك أن الدولة العباسية قامت على أسين "هما أمر الدين والاعتزاز بالموالي ، فأما الدين فإنه أول ما نقموا من الأمويين وهاجوا به الناس عليهم ، وللدين المكان الأول من نفوس الناس خصوصا هؤلاء السذج الأطهار الذين لا يطمعون في ولاية ولا يأملون جاها عند احد"[3]، وأما الشيء الثاني والقائم على الاعتزاز بالموالي " فذلك لأن الأمويين كانوا قد أفسدوا قلوب العرب فليست تصلح لغيرهم على أن هؤلاء العرب كانت قد تشبعت فلم يصيروا قوة يعتمد عليها"[4]

---

[1] ينظر شوقي ضيف ص53/ص55

[2] محمود مصطفى :الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي الثاني ,مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده ,مصر ,ط2, 1456, 1437م, ص15

[3] ا_لمرجع نفسه ص7

[4] ا_لمرجع السابق ص8

كانت البداية الأولى للخلافة العباسية " منذ أن أعلن أبو العباس السفاح في الكوفة قيام الخلافة العباسية ،ولقد أخذ أبو العباس في توطيد دعائم الدولة الجديدة وتثبت أركانها ,وتتابع الخلفاء من بعده يسيرون على نهجه من أجل النهوض بها والقضاء على خصومها والعمل على بناء مجدها"[1]

كان العباسيون ينهلون من الثقافات الأخرى سعيا منهم للحصول على اللبنات الأولى التي ترصي معالم حضارتهم حتى نالوا مرادهم يقول شوقي ضيف " فقد كانت تعتمد كل الاعتماد على الفرس وكانوا أصحاب مدينة وحضارة فثبتوا فيها الحياة العربية , وأعدو لنهضة حضارية واسعة تستقي منهم ومن موارد الإسلام والعروبة"[2]لكن و بمجرد حدوث تلك النقلة النوعية وانتقال الحكم إلى يد الأتراك حتى تدهورت الأوضاع السياسية وبات الجهاز الحاكم أداة سامة تبث سمومها على المجتمع ،وبدأت الرعية تعاني الويلات نجد شوقي يصرح قائلا:"تناولت الحياة السياسية وما حدث فيها من تحول مقاليد الحكم من أيدي الفرس إلى أيدي الترك، ولم يكونوا أصحاب ثقافة ولا حضارة ولا كان لهم معرفة بالإدارة وبالنظم السياسية ، ففسدت الأداة الحكومية فسادا شديدا وكانت هناك طبقة تغرق في الترف والنعيم وكان جمهور الشعب يعيش في الضنك والبؤس"[3]

استفحل الفساد في أركان الدولة وبات الناس يعيشون حالة من الخوف وعدم الاستقرار كما"عمت الرشوة وتكاثر الفساد والمصادرة والفتك, فأصبح الناس يخافون على أموالهم وأرواحهم لأنها طوع إرادة الخليفة أو الوزير أو القائد أو تابعة لهواهم ومطامعهم"[4]

---

[1] _محمد عبد المنعم : الآداب العربية في العصر العباسي الأول ،دار الجيل، بيروت ط1، 1412هـ ،1992م،ص2

[2] _شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي 4العصر العباسي الثاني ،دار المعارف ،مصر القاهرة ،ط 2،د ت ،ص10

[3] _المرجع نفسه ص10

[4] _جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة :شوقي ضيف ، دار الهلال ،ج 2 ،د ط، د ت، ص157.

الحياة العقلية

ازدحمت سبل المعرفة في هدا العصر وباتت تمثل دافعا قويا للأدباء والعلماء ولاقت اهتماما كبيرا و أمست العقول تسابق الزمن من أجل التحصيل حيث "يحس كل من يتعقب الحركة العلمية في العصر كأن سباقا نشب بين العلماء والعلم فهم يجدون في طلبه وتحصيله وهم يصارعونه صراعا متصلا يريدونه أن يذلوه و يقهروه في جميع الميادين وهو صراع كان بداخله شغف شديد به ،كما كان يداخله إيمان بأنه لن يخضع لهم إلا إدا تجردوا له وتوفروا عليه وامضوا فيه بياض النهار وسواد الليل دون كلل أو ملل "[1], كما نجد الطلبة منكبين على طلب العلم والظفر بالمعرفة سالكين كل الدروب من اجل دلك بكل شراسة فقد " نشط التعليم في هدا العصر نشاطا واسعا و انتقل من تعليم الناشئة بالكتاتيب إلى تعليم الشباب بالمساجد يتعلمون الخط و الكتابة و يحفظون القرآن ، فقد كان الطلبة يقبلون على حلقات المساجد و كانت أشبه بمعاهد عليا ، يترددون على من يشاؤن الاستماع إليه ، فمنهم من يأخذ الفقه أو الكلام أو الحديث من شيخ و يتحولون إلى شيخ أخر "[2]كما تقبل بني العباس من النخبة المثقفة على النهل من الثقافات الأخرى التي احتكوا بها ,

وكانت الترجمة هي الوسيلة الدافعة إلى [2]

[1] _شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي4 العصر العباسي الثاني ،دار المعارف مصر ، القاهرة ،ط2 ، د ت ، ص 126

[2] _ ينظر شوقي ضيف، ص117–ص118.

الاهتمام بهده الثقافة فقد عرفت حركة واسعة ونشطة فنقلوا الى العربية ألوان من العلوم على اختلافها و تعددها في مجالات عدة كالطب و الهندسة و الرياضيات و غيرها فقد "كان لدار الحكمة التي أنشأها المأمون الفضل الأكبر في تهذيب الكتب المترجمة و توحيد الأسماء المعربة ، ثم رقت الألفاظ لانغماس القوم في الحضارة واخلالهم للترف"[1]

حظيت العربية في هدا العصر بحصة الأسد فقد سئمت نحو النضوج و الكمال درجات ،وتسللت بين الأمم كالريح التي تهز أركان الأشجار يقول محمود مصطفى العصر العباسي "هو أزهى عصور اللغة العربية ، بلغت فيه ذروة الكمال رصانة واتساعا لما تغرف من محاسن اللغات ، فقد صارت لغة الدين والعلم والأدب ، و ترجمت إليها علوم الدنيا "[2]، وظلت محافظة على ما حققته، تتلقى الرعاية والاهتمام من قبل الحكام مواكبة الخلخلات و الهزات الحضارية أثناء سيرورتها نحو التطور والارتقاء ، "مازالت اللغة تتسع وتنمو في اتساع الملك وتقدم العلم ونمو الحضارة ،وتنتشر وتسمو في حمى الدين وفي ظل الخلافة وسلطان العرب"[3]، لكنها تعرضت لنكسة أطاحت بها وجعلتها تسقط من صدارة الأحداث "في عهد المتوكل على الله سنة233ه استفحل أمر الأتراك الدين جلبهم المعتصم فأخذوا يغالبون ويواثبون الفرس "[4]، لقد ترك هدا الانقلاب بصمته على العقول والميول وبرز في الكتابات فمجدوا الألفاظ وبالغوا كثيرا في التصنع والتنميق "فلما ضعفت الخلافة وقام بالأمر غير أهله سار الضعف إلى الكتابة فجهل أربابها الغرض منها ومالوا إلى زخرف القول وتبذخ اللفظ بأنواع البديع و أوغلوا في دلك حتى سمجت مبانيهم وفسدت معانيهم " [5]

---

[1]أ_حمد حسن الزيات : تاريخ الادب العربي ، دار النهضة مصر ، الفجالة القاهرة ، ج2 د ط ،ص 2013.

[2]_محمود مصطفى : الادب العربي و تاريخه في العصر العباسي ، مطبعة مصطفى البابي الجلي و أولاده ،مصر ، ط2 ، 1937 م ، ص4

[3]_المرجع السابق ص213

[4]_أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص213.

[5]_ينظر المرجع نفسه، ص ص 20/16.

وبالرغم من كل الطما ت العنيفة التي تعرضت لها الحياة الفكرية في عصر العباسيين ، إلا أنه لا يمكن نكران أن الأدب في هده المرحلة قد خطى خطوة عملاقة يقول شوقي ضيف " ظلت الحياة العقلية مزدهرة بما نقل . ومكان ينقل من الثقافات الأجنبية ، مما هيأ لظهور فلاسفة وعلماء بارعين في جميع العلوم اللغوية و البلاغية "[1] كما يرى جورجي زيدان أن الأدب في هده الفترة مال إلى " النشوء و التفرع فبدأت علومه بالاستقلال بعضها عن بعض و كانت في العصر الماضي مختلطة يدرس الأديب النحو و اللغة و الأخبار و الأمثال معا "[2]وهنا تحيل هده النقطة إلى أدهاننا أن خوصصة كل علم بحسب المجال الذي يدرسه ،ليست فكرة عبثية وإنما هي تجربة من التفكير و التدبر و صفاء الدهن ، توحي بأن صاحبها ذو درجة عالية جدا من النضوج الفكري الذي يخول صاحبه الحق في الفصل بين أمرين أثبت فيهما حقا نوع من الاختلاف .

[1] _شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الثاني، دالر المعارف، مصر ، القاهرة، ط2، د ت، ص5.

[2] _جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة: شوقي ضيف، دار الهلال، ج2، د ط، د ت، ص169.

الفصل الأول:مفاهيم إجرائية

أولا: المقامات

1_ تعريف المقامة

2_ نشأة المقامة

3_خصائص المقامة

4_ أغراض و أهداف المقامة

ثانيا: حول الكاريكاتير

1_ مفهوم الكاريكاتير

2_ كيف انتقل الكاريكاتير من الصورة (الرسم) إلى النص السردي؟

ثالثا: المقامة البغدادية

1_ تعريف المقامة البغدادية

2_ البناء الداخلي للمقامة

أولا: المقامات

1- تعريف المقامة

كان النثر يسير جنبا إلى جنب مع الشعر لكنه كان يعاني كثيرا من إشكالية التهميش التي قللت من شأنه، بالرغم من وجود تراث نثري زاخر على مر العصور أنتجته قرائح الأدباء، فقد انبثقت منه أجناس أدبية عديدة لعلى المقامة من أهمها فقد عنيت بالقضايا الاجتماعية والسياسية على حد سواء ، كالفساد والوعظ والإرشاد واتسمت بطابع فاخر ساخر في قالب فكاهي بقدر ما يسليك يدفعك لمواجهة هشاشة ذاتك.

لغة:

لقد عرفت المعاجم اللغوية القديمة والحديثة بتعاريف متقاربة فممن ذكرها من أصحاب المعاجم القديمة أبو منصور الأزهري حيث نجده يقول :"مقامات الناس مجالسهم، ويقال الجماعة يجتمعون في المجلس مقامة " [1] ،ومنه قول لبيد :

و المقامة غلب الرقاب كأنهم *****جن لدى باب الحصير قيام

ويقال قمت بالمقام قياما وإقامة. كما نجد هدا المعنى عند الجوهري يقول:" المقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس، والمقامة بالضم الإقامة"[2] ، وأما المقام والمقام فقد يكون كل

---

[1] _أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري:تهذيب اللغة، ت:عبد الحليم النجار ومحمد علي النجار، القاهرة، 1994، مادة(قوم)، ج9، ص356

[2] _إسماعيل بن حمادة الجوهري:الصحاح، ت:عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة،1957،مادة(قوم)، ج9، ص317

واحد منهما بمعنى الموضع القيام لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح و إذا جعلته من أقام يقيم فمضموم نحو قوله تعالى "لا مقام لكم" { الأحزاب_13 } ،أي لا موضع لكم ويقرأ "لا مقام لكم" بالضم أي لا إقامة لكم، وقيل"حسنت مستقرا ومقاما"{الفرقان_86}

أي موضعا "[1] وقول لبيد:

عفت الديار محلها فمقامها******بمني تأبد غولها فرجامها

كما ورد في لسان العرب "المقام والمقامة، المجلس ومقامات الناس مجالسهم ، قال العباس بن مرداس انشده ابن برى:"[2]

فأي ما وأيك كان شرا*******فقيد إلى المقامة لا يراها

ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس مقامة ومنه قول زهير:

وفيهن مقامات حسان وجوههن******و أندية ينتابها القول والفعل

والجمع مقامات، ومقامات الناس مجالسهم والمقامة والمقام، الموضع الذي تقوم منه والمقامة السادة والمعنى نفسه ورد في قاموس المحيط "المقامة المجلس والقوم بالضم والإقامة، كالمقام والمقام يكونان للموضع"[3]، وجاء في تاج العروس"المقامة المجلس ومقامات الناس مجالسهم ومن المجاز المقامة، القوم يجتمعون في المجلس"[1]

---

[1] _المرجع نفسه ،ص557

[2] _ ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، لبنان، ط3، 1994، مادة (قوم)، ص787

[3] _ الفيروز أبادي: المحيط، ت:أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مجلد1، 2010م، ص1067

أما القلقشندي فيقول" المقامة في أصل اللغة اسم للمجلس والجماعة من الناس وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة، كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها، أما المقامة بالضم فمعنى الإقامة ومنه قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة ، الذي أحلنا دار المقامة من فضله"[2]

فالمقامات لفظة تطلق على المجلس الذي يجتمع فيه القوم سواء كان للمدح أو للتفاخر أو للوعظ أو للتسلية.

يلاحظ أن لفظة مقامة منذ القديم، فادا رجعنا إلى الشعر الجاهلي وجدنا كلمة مقامة تستعمل بمعنيين، مجلس القبيلة أو ناديها وتستعمل تارة بمعنى الجماعة التي يضمها المجلس أو النادي"[3]

وعليه تبدوا المقامة كأنها من عادات العرب في العصر الجاهلي حيث كانوا يجتمعون في المجلس وينشدون الشعر.

أما في العصر العباسي فاتسعت دلالتها لتشمل مقام الواعظ ومجالس الخلفاء وما يقال في تلك الجالس من نصائح وعظات"[4] ،وتطور معناها فصارت تدل على أوضاع المتلقين لها حيث أصبحت لتلقى الخطب الدينية والموعظة و النصيحة وذلك من خلال ما

---

[1] _محمد مرتضي الزبيدي: تاج العروس، بيروت، لبنان، 1963، ج9، ص39

[2] _القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن النسخة الأميرية، المؤسسة العامة،ج14، ص110

[3] _لجنة أدباء الأقطار العربية، شوقي ضيف:المقامة، دار المعارف، مصر، ط3، 1954، ص7

[4] _نبيل أبو علي:نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص305

نجده في مقامات الزهاد عن الخلفاء والملوك في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة و بشران المنذر في الرسالة العذراء إلى كتب المقامات والخطب،ومحاورات العرب مثلما يورد ابن عبد ربه في العقد الفريد مقامات العباد و الخلفاء"[1].

وإذا انتقلنا إلى المعاجم الحديثة نجد أنها لم تخرج عن المعنى المتقدم للفظة في المعاجم القديمة، ومن دلك ما جاء في قاموس المحيط في اللغة"فجاءت المقامة بمعنى الجماعة من الناس والمقام والمقامة الموضع الذي تقيم فيه"[2]

وفي معجم الوسيط "المقامة الجماعة من الناس والمجلس الخطبة أو العظة ونحوهما،وهي قصة قصيرة مسجوعة تشمل عظة أو لمحة كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم "[3]

ومما سبق يتضح أن الأصل في المقامة هي اسم مكان من أقام ثم أطلقت على المجلس فقيل مقامات الناس أي مجالسهم التي يتحدثون فيها، ثم أصبحت تطلق على الحديث الذي يروي في مجالس السمر، وهنا نلحظ أن المقامة كلمة يتوافق معناها مع الموقف والظروف التي تكون عليها، حيث كان مدلولها على اجتماع القبيلة في العصر الجاهلي لتدل بعدها على توجه ديني في العصر الإسلامي و الأموي ليصبح مدلولها أدبيا في العصر العباسي .

---

[1] _إبراهيم السعافين: أصول المقامات، دار المناهل، بيروت،ط1، 1987م، ص15

[2] _إسماعيل بن عباد الصاحب: قاموس المحيط في اللغة، ت: الشيخ محمد وحسن الياسين، 326_385هـ ، باب (قوم)، ج6، ص57

[3] _مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، القاهرة، 1972م، مادة(قوم)، ج6، ص57

اصطلاحا :

المقامة لون من النثر الفني يمتاز بما يكون فيه من الأناقة اللفظية يمثل قصة وقعت لشخص أو أشخاص يتخيلهم الكاتب ويضع على ألسنتهم حوارا يجتهد فيه التحسين والتزيين ويلتزم فيه السجع أو يكثر منه ويودعه ما يشاء من طرائف وهناك العديد من الأدباء والباحثين ممن عرف المقامة منهم الدكتور محمد غنيمي هلال حيث يقول :"أنها حكاية قصيرة يسودها شبه حوار درامي ،وتحتوي على مغامرات يرويها راو عن بطل ، وقد يكون ناقدا اجتماعيا أو سياسيا ، وقد يكون فقيها متضلعا في مسائل الدين أو اللغة، ولكنه في حالاته كلها تقريبا متسول ماكر ولوع بالذات مستهتر يحتال للحصول على المال ممن يخدعهم ثم هو دائما أديب يجيد في أسلوبه عن بديهة ارتجال"[1] فهي ادن كلام في المجلس يستمع إليه مجموعة من الناس يقص عليهم ما يشبه الحكاية .

وعرفها زكي مبارك بقوله"هي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكره وأدبه أو فلسفته أو خطرة وجدانية أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون"[2] ، ويقول فكتور الكك أنها :"حديث قصير من شطحات الخيال أو دوامة الواقع اليومي في أسلوب متصنع مسجوع تدور حول بطل آفاق أديب يحدث عنه وينشر طويته رواية جوالة قد يلبس جبة البطل أحيانا ، وغرض المقامة البعيد هو إظهار الاقتدار على مذاهب الكلام وموارده ومصادره في غصة بليغة تقلقل الدراهم في أكياسها أو نكتة أدبية طريفة أو نادرة لغوية أو

---

[1] _محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن, بيروت, د ط, د ت,ص224

[2] زكي مبارك : النثر الفني ،دار الجبل ،د ط، 1975م،ج1، ص242

شاردة لفظية طفيفة"[1] ، أما مارون عبود "أطلقت المقامة في دلك العصر_أي القرن الرابع_ على قصة خيالية أنشئت بعبارة مسجوعة غالبا محلاة بأنواع البيان والبديع مشتملة على كثير من الغريب ، بدأ هدا النوع ببديع الزمان وحدا حدوه الحريري وغيره، ولا عيب في هده القصص الغيرة إلا أنها ترمي غالبا إلى الاحتيال وطلب الرزق عن طريق النصب وهي مفيدة بأسلوبها وحفظها ألفاظ كثيرة إلا أنها غير مفيدة ولا تعلم عزة النفس"[2]، وهنا يظهر لنا أنها حكاية ذات أصول فنية يسودها الحوار وهي قصة خيالية ومنه فالمقامة كانت تشكل جسرا عبرت من القصة إلى ما هي عليه الآن لأنها اشتملت على عناصر أساسية و مبادئ في القصة الحديثة وإن كانت بشكل عير واضح، أما عبود المتقدم فيقول "أنها غير شريفة المبادئ وأنها لا تعلم عزة النفس ولعل سببه أنها تقوم غالبا على التحايل والتسول ولتحصيل المال ويمكن أن نوضح أن الهدف والغرض من المقامات هو تعليم الناشئة وتنشيط دهن القارئ بما فيها من غريب اللغة وزخرفة للألفاظ المسجوعة وعير دلك لا لتصوير الأخلاق الفاضلة فاتخذت أسلوب التحايل للوصول إلى هدف"

ويعرفها عمر رضا كحالة بقوله" تطلق لفظة مقامة اصطلاحا على أنها قصة نثرية قصيرة مشتملة على ملحمة يرويها الكاتب على لسان شخص فرضي، وقد تكون طويلة أيضا، وقد تورد من خلالها أشعار كثيرة لتزيد المتكلمين قوة و المترسلين بلاغة، ولا بأس أن تكون لصاحب المقامة أو لغيره ومن ملتزمات المقامة أن يضع الكاتب فيها غرائب

---

[1] _إبراهيم السعافين: أصول المقامات ، ص17

[2] _مارون عبود:أدب العرب، بيروت، 1967م، ص319

اللغة و شواردها و يذكر حظا وافر و تحسينها بما استطاع من الحكم والأمثال و الأمثال وأن ملاك المقامات وقوامها قصة حادثة تقتصر على رجل معين لا تتجاوز منه أبدا وهو خيالي في الأغلب"[1]

أما شوقي ضيف فعرفها بأنها "حديث على شكل قصص قصيرة يتأنق في ألفاظها وأساليبها، فالمقامة أريد بها التعليم مند أول الأمر، ولعله من أجل ذلك سماها بديع الزمان مقامة ولم يسمها قصة أو حكاية، فهي ليست أكثر من حديث قصير وكل ما في الأمر أن بديع الزمان حاول أن يجعله مشوقا فأجراه في شكل قصص"[2]، و بهذا التعريف نجد أن شوقي ضيف أخرجها من دائرة القصص الفني غير أنها تحتوي على بطل لكن لا أهمية له مقارنة بأهمية الحدث وهدفه التعليم لا الإثارة، تعليم جاء في أسلوب مشوق كي يلفت انتباه الراغبين في تحصيل أساليب اللغة. كما يرى أن" فن المقامة من أهم فنون الأدب العربي خاصة من حيث الغاية التي ارتبطت به وهي غاية التعلم وتلقين الناشئة صيغ التعبير وهي صيغ حليت بألوان البديع"[3].

و في الأخير نخلص إلى أن المقامة هي عبارة عن حديث قصير يشبه القصة القصيرة لها بطل مكدي ومتسول وسارد تقوم على حدث ظريف مغزاه مفارقة أدبية أو مسألة دينية أو عظة أو حادثة مضحكة وضعت في إطار لغوي بليغ تصبوا إلى التسلية من جهة والتعليم من جهة و التعليم من جهة أخرى تتخللها بعض العابات .

---

[1] _عمر رضا كحالة: الأدب العربي في الجاهلية والإسلام ، مطبعة التعاونية، دمشق، 1972م ، ص ص 205_206

[2] _شوقي ضيف: المقامة، دار المعارف، مصر، ط3، 1954، ص80

[3] _المرجع نفسه،ص05

2_نشأة المقامة:

كان من المعروف في الأوساط الأدبية إلى عهد قريب أن بديع الزمان هو مبتدع فن المقامات و نضوج هدا الفن على يده كان نتاج لمرحلة طويلة من التراكمات والخبرات التي وصلت إليها ، فاستطاع أن يخلق مما سبق شيئا جديدا و فريدا، فلا يستبعد تأثر الهمذاني بمن سبقه من فنون نثرية فالأجناس الأدبية لا تنشأ من فراع ولا يمكن القول أن المقامات وصلت إلى ما هي عليه دون وجود محاولات أخرجتها إلى شكلها النهائي الذي عرفت به عند البديع ،فقد أشارت بعض المصادر القديمة أن هناك ممن سبق بديع الزمان الهمذاني في هدا المضمار فيرجح كارل بركلمان إلى أن"أقدم معاني المقامة يرجع إلى أيام الجاهلية وكانت عبارة عن مجتمع القبيلة وأيام الأمويين تتخذ المقامة شكلا دنيا ، إذن هي أحاديث دنية تروى في مجالس الخلفاء ثم تطور معناها فصارت تقترن بالشعر و الأدب وأخبار الوقائع القديمة"[1] كما كانت هناك محاولات كثيرة قد سبقت البديع في الكتابة على شاكلة المقامات منها مقامات الوعاظ إذ" حفلت مجالس الزهد بالمواعظ التي أنشأها أصحابها في أقوال مسجوعة وضمنوها الآيات القرآنية الكريمة و الأحاديث الشريفة و الأقوال المأثورة والشعر"[2] ، ويظهر مما سبق أن المقامة لها علاقة بمجالس الرواة الدين كانوا يقصون الأحاديث الدينية على تلاميذهم .

---

[1] _أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دور العلم للملايين، بيروت، ط6، 1979م، ص17

[2] _إبراهيم السعافين: أصول المقامات، دار المناهل، بيروت، ط1، 1987م، ص27

أول من أشار إلى وجود ما يسمى المقامات هو ابن قتيبة الذي توفي قبل الهمذاني _ باثنين وثمانين سنة_ في كتابه الشعر و الشعراء، فقد جاء في كتابه ما نصه "وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات و الجوابات"[1]، وتجدر الإشارة إلى أن المقامة عند أحمد عبد ربه_الذي توفي قبل ميلاد الهمذاني بثلاثين سنة في كتابه العقد الفريد إذ نقل كلاما لأحد الأمراء الأمويين يقول لكاتبه:"فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه، ومن نوادر الكلام ما تستعين به، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسماء ما يتسع به منطقك ويطول به قلمك وأنظر في كتب المقامات والخطب" [2]، كما يرجح أن أحاديث ابن دريد كان لها الأثر في إعطاء الهمذاني الإلهام لصنع مقاماته وهي الأصول الأولى التي اعتمد عليها في إنشاء فنه، فجاء في كتاب زهرة الآداب عند ذكر الهمذاني حيث قال :"أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني بديع الزمان وهذا الاسم يوافق مسماه ولفظ يطابق معناه وكلام غص المكاسر أنيق الجواهر يكاد يسرقه لفظا والهوى يعشقه طرفا ، ولما أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثا وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره وانتخبها من معادن فكره وابداها للأبصار والبصائر وأهداها إلى الأفكار والضمائر "[3]، أي أن البديع ليس المبتكر لفن المقامات وإنما يحاكي ابن دريد في أحاديثه المذكورة ، يقول شوقي ضيف:"إن نربط دروسه–بديع الزمان– وبين أحاديث ابن

---

[1] _ المرجع السابق ص240

[2] _أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ض365.

[3] _إبن إسحاق إبراهيم علي القيرواني: زهرة الآداب، ت:محمد محي الدين عبد المجيد، دار الجبل بيروت، 1972، ج1، ص305.

دريد لأنها هي التي ألهمته مقاماته"[1]، واستنادا إلى ذلك يربى زكي مبارك "أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات إنما ابتكره ابن دريد"[2]، لأنه أول من لفت الانتباه إلى هذا النوع الفريد ولم يذكره في أي مصدر آخر"وبرر أسباب غفلة المؤرخين إلى أن ابن دريد سما قصصه أحاديث فيما بديع الزمان سماها مقامات"[3].

إلا أن مبارك يقول مع أن ابن دريد هو المبتكر لفن المقامات هو أن البديع عمل على محاكاة أحاديثه إلا أنه يسلم بأن عمل بديع الزمان في هذا الفن أقوى وأظهر وطريقته في القصص تختلف عن طريقة ابن دريد والذين كتبوا المقامات بعد ذلك لم يكن في أدهانهم غير فن بديع الزمان فهو بذلك منشئ هذا الفن في اللغة العربية ولم تسما هذه القصص بعد ذلك أحاديث كما سماها ابن دريد إنما سميت مقامات كما سماها بديع الزمان "[4]، ويمكن القول ان الهمذاني بنا على ما سبق من أشكال لغوية فنية ومنها وعليها ابتدع فن المقامة وكان له فضل السبق في إنشائها وهذا الحريري يقر بذلك في مقاماته إذ يقول:"هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات، وأنا المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أتي بلاغة قدامى لا يغترف إلا من فضلاته زلا يسرى ذلك المسرى إلا بدلالاته"[5]، وهذا ما يؤكده القلقشندي أيضا في صبح الأعشى يقول:"إن أول من فتح باب

---

[1] _شوقي ضيف :المقامة ، مصر، القاهرة، ط3، ص17.

[2] _زكي مبارك : النثر الفني ،ج1، ص243.

[3] المرجع نفسه، ص244

[4] ينظر زكي مبارك: النثر الفني ، ص ص247/246.

[5] _أبو محمد القاسم الحريري: شرح مقامات الحرير البصري، إشراف:محمد عبد المنعم الخفاجي، المكتبة الثقافية ، بيروت، ص10

عمل المقامات علامة الظهر وإمام الأدب البديع الهمذاني، فعما مقاماته المشهورة المنسوبة إليه وهي في غاية البلاغة وعلو الرتبة والصنعة"[1]، وعلى الرغم من أن جورجي زيدان يعتبر الهمذاني هو أول من جعل المقامة علما فإنه يعتبر العالم اللغوي أبا الحسن أحمد بن فارس هو أول من كتب المقامة لأنه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه وعليه اشتغل بديع الزمان فيقول:"هو بديع الزمان أول من وافاه حقه وجعله علما وقد اقتبس نسقه من استاده ابن فارس اللغوي"[2]، وهدا الكلام يكتسي أهمية كبيرة خصوصا لو علمنا أن بديع الزمان تتلمذ على يد العلامة ابن فارس ، كما كان كثير الترحال فتتلمذ على يد الصاحب ابن عباد في الري، الذي أفاد من ترسله وسعة اضطلاعه ومذهبه في التفكير والإنشاء وكان الصاحب ابن عباد على اتصال بشعراء الكدية ولا شك أن الهمذاني قد أفاد من الاطلاع على شعر هؤلاء في مقاماته "[3] ، لدلك لم يكن من المستغرب أن يأتي مبدع كبير يحول ما تعلمه إلا شكل فني فريد ومبدع.

ومما سبق نخلص إلا أن أول من كتب في هذا الفن هو ابن دريد لكنه لم يسمي كتاباته مقامات وإنما أحاديث، وكان الهمذاني أول من وسم هذا الفن بهذا الاسم ورتبه وأنضجه وأخرجه في حلة بديعية لفتت إليه الأبصار على الرغم من أن المقامة كانت معروفة من قبل وقد أخذت تنحوا منحى التطور في القرن الرابع الهجري لنضج الأسباب

---

[1] _القلقشندي :صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج14، ص110.

[2] _ جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ت:شوقي ضيف،دار الهلال، ط1، 1911، ج2، ص277.

[3] _ينظر خليل ابو رحمة ومأمون جرار:فنون النثر العربي القديم ، جامعة القدس المفتوحة، ط1، ص276.

الموضوعية لذلك من حيث تحول اللغة إلى علم وكذا كثرة العلماء الذين تنافسوا فيما بينهم على ذلك.

3-خصائص المقامة:

قبل أن نعرج لخصائص المقامة لابد أن نتحدث عن أسلوب الكتابة الفنية في القرن الرابع الهجري عصر بديع الزمان الهمذاني ذلك الأسلوب الذي ترك لمسات تأثر بها البديع في إنشائه لمقاماته وبقيت هذه المؤثرات مطبوعة في أسلوب المقامة على مر العصور ، في القرن الرابع عصر ازدهار الأدب ولا شك في دلك لأنه فيه تطورت الكتابة وأسلوبها كما كان من قبل فـ؟أصبحت الصنعة والزخرفة اللفظية والمحسنات البديعية هي قوام أسلوب هذا العصر ويمكن تلخيص خصائص المقامة فيما يلي:

- **موضوعها:** تدور المقامات حول موضوعات مختلفة ومتنوعة فكل مقامة تكون نصا متكاملا لا علاقة لها بالتي تليها في أغلب الأحيان فمثلا" أكثر المقامات كانت تتحدث عن الكدية وأصحابها وحيلهم وطرقهم الملتوية للحصول على الأموال والأقوات كما في مقامات البديع والحريري، كما أن في مقامتهم عناية علمية وأدبية ونحوية وفقهية و فكاهية ...."[1]
- **أشخاصها:**الشخصيتان الرئيسيتان التي تدور حولهما المقامة البطل والراوي وبينهما صلة وثيقة، فالراوي دائما يتحدث عن البطل ويتبعه في أشعاره ويحظر مجالسه

[11] _أحمد حسن :تاريخ الأدب العربي، بيروت ،ص397.

المختلفة فيسمعه واعظا مرة وعالما مرة أخرى و مكديا شحادا أحيانا وفي كل مرة يكشف النقاب في وجهه أو يتسلل خلفه حتى يعرف حقيقته فادا هو صاحب البطل لا يخطئه أبدا ، وكل من البطل والراوي مجهول يخترعه صاحب المقامة ويعطي لهما أسما ء محي لا أسماء يريدها .

- **أسلوبها الفني:**السجع هو الطابع العام لأسلوب المقامات مع الاختلاف بين المنشئين من حيث العناية به [1] فمنهم من يقصده في جميع عباراته حتى يضطره إلى التكلف والإتيان بالغريب واللغات الشادة ومنهم من يجنح إليه لكن بغير تكلف إلى الزخرفة اللفظية من جناس وطباق وتورية".
- **كثرة الإستشهادات** : كثرة الإستشهادات الشعرية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والحكم والأمثال وغيرها ولعل هدا الاهتمام الزائد بهده النزعة اللفظة في المقامات هي التي قللت من القيمة النقدية لأوضاع الناس فيها كما هو سبيل القصة والمسرحية في الآداب الأخرى.
- **العقدة والحوار:**لكل مقامة عقدة تدور حولها وأحداثها وتشتد هده العقدة أحيانا وتتأزم وتسهل إلى حد البساطة أحيانا أخرى، ولكنها تظل نقطة ارتكاز الحوار الذي يجري

[1] _الكفاوين شاهد عوض: المقامات الأندلسية في عصر الطوائف والمرابطين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية ،جامعة الملك عبد العزيز قسم اللغة العربية، 1400-1401، ص65، 66، 67.

في الغالب بين الراوي والبطل الذي يثير عواطف السامعين و انفعلاتهم حتى تحل العقدة بظهور البطل وانكشاف الشخصية"[1]

وبهذا فإن المقامة فيها نفحة من الأقصوصة أو القصة القصيرة التي تمتد على الفطرة كأقاصيص العرب من القصص يقول زكي مبارك" لا عيب أن تخلوا أثار العرب من القصص الطويلة فإن الفن الصحيح يرتكز أولا على الفطرة ولم يكن العرب مفطورين على القصة التي تقرأ في أيام وأسابيع لذلك خلا شعرهم ونثرهم من الآثار القصصية التي وجدت في الشرق والغرب "[2].

4-أغراض المقامة:

تعددت أغراض المقامات تعددا ملحوظا ومن أهمها ما يلي:

- **الكدية:**وتقوم عليها معظم المقامات و لكن لا نستطيع القول أن الكدية هي الموضوع العام للمقامات.
- **الأغراض التعليمية:** من خلال ما تعرضه المقامة من الأحاجي و الالغاز و البراعة اللغوية والمحسنات البديعية .

[1] _ المرجع السابق،ص ص 66_67

[2] _زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، بيروت ،1972، ص249.

- **تصوير ظواهر وأبعاد اجتماعية:** كتصوير العيوب الاجتماعية كدعاء الطب والعرافة ومحاولة اشفاء المجانين أو لعب القمار أو تصوير حياة الفقر والبؤس"[1]
- "**النقد الأدبي:** كما في المقامة الجاحظية و الحلوانية .
- **الوصف:** كما في المقامة الخمرية والبغدادية و المصرية للهمذاني وفي كثير من المقامات الأخرى حيث جاءت الكدية مقترنة بوصف بارع لمختلف الأطعمة و الأشربة وتصوير دقيق"[2]
- **المدح والوعظ والهجاء** :كما في المقامة الوعظية للهمذاني حيث الحديث عن الحياة والموت والدنيا والأخرة.
- **الهزل والإضحاك** : ونجد دلك في المقامة المضرية و الحلوانية للهمذاني"[3]

أهداف المقامة:

لكل عمل فني أو أدبي هدف يرمي إ إلى تحقيقه ، كذلك المقامة لها أهداف تسعى لتحقيقها منها:

- إمتاع القارئ أو السامع وهدا لأن المقامات تشبه الفن القصصي إلى حد ما ، بما فيا من موسيقى داخلية من السجع و الجناس و الترادف .
- إظهار الكاتب لفكره من خلال الشخصيات".[1]

---

[1] _نبيل أبو علي: نقد النثر في التراث العربي النقدي حتى نهاية العصر العباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص312

[2] _المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] _ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

- إظهار قدرة الكاتب وبراعته في استخدام أساليب اللغة و فنونها لجعلها نموذجا يحتذى به ويتعلم منه.
- إسقاط الستار عن الواقع الاجتماعي والسياسي ويكون دلك في الغالب من خلال صب
- هدا الواقع وإفراغه في قوالب فكاهية ساخرة"[2].

ثانيا: حول الكاريكاتير

1-مفهوم الكاريكاتير:

استطاع الكاريكاتير أن يفرض نفسه ويحتل مكانة مرموقة فرغم بساطته وطابعه الهزلي، إلا أنه يحمل دلالات عميقة لأنه يتجرأ على تمرير رسائل في شكل رموز و شفرات ملائمة للموضوع الذي يصوره كما يعتبر الكاريكاتير من أكثر الفنون الصحفية جدبا للمتابعين بصرف النظر عن لفتهم وثقافتهم إذ يمكن فهمه والتفاعل معه حتى لو كان دون تعليقات شارحة وملاحظات نصية.

تعددت تعريفات الكاريكاتير من حيث كونه ليس فن أو أنه فن فرعي، فهو مادة صحفية ذات مدلول اجتماعي معتبر.لذا يجب أن تظهر فيه عناصر الجمال والتجسيد الفني ويكون متوازي مع المادة المكتوبة، ويصاغ في قالب فني متكامل، "فالرسوم أو الكاريكاتير ذات

---

[1] _أحمد أمين مصطفى: فن المقامة بين البديع والحريري والسيوطي،ط1، 1990م، ص109

[2] _ المرجع السابق الصفحة نفسها

قيمة ثقافية و تعليمية وجمالية وقد يكون لها نفس تأثير المادة المكتوبة إن توفرت فيها الخصائص المناسبة، وهناك من يرى أو يصف الكاريكاتير على أنه يعتمد على الرسم الساخر الهزلي"[1].

وهو واحد من الفنون التشكيلية الأكثر شعبية وهو فن يعتمد على الخط واللون والظل"ويرجع أصله إلى مصدر الكلمة(caricature)في اللغة اللاتينية وأن للكلمة أربعة معاني(يملأ، يعي، يشحن، يبالغ)، ولهذا الرأي نصيب من الوجاهة ولكن يلزم عمل المزيد من الدراسات في هذا الصدد، وكلمة(character) هي الأكثر صلاحية للكشف عن الوظيفة الأساسية للكاريكاتير، ومضمون الجوهر الموضوعي وليس الاكتفاء بالشكل الظاهري"[2].

و هناك من يرجع كلمة(caricature) إلى الأصل الإيطالي(caricure) والتي تعني تحميل الشيء أكثر من طاقته أي المبالغة "[3] ، وفي الفرنسية (charge) من فعل الحشو، ويشير معجم تاريخ الفن إلى أن الكاريكاتير هو رسم صورة ملصق لوحة وربما يبرز مناصرة الفكاهة والضحك"[4] .

---

[1] _صفوت عصام حسيني: الصحافة المكتوبة وظاهرة العنف في الجزائر خلال1999،شهادة دكتورة دولة في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلم السياسية و الإعلام في الجزائر،1999، ص136.

[2] _شوقية هجرس: فن الكاريكاتير، الدار اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص30.

[3] أشرف محمود صالح، شريف اللبان: الإخراج الصحفي دار الفكر، القاهرة، مصر، 2001،ص242

[4] _سعاد قرفة، روفيا بوغنوط:سيميائية الرسم الكاريكاتوري عند هشام بابا أحمد هيك، مذكرة لنيل شهادة الماستر في لغة وأدب عربي،ص20.

عرفه معجم وبستر(webster):"بأنه يقوم على المبالغة والتشويه لخصائص الأشخاص أو ملامح خاصة لشخصيات "، أما الموسوعة البريطانية فترى بأن الكاريكاتير هو"صورة مشوشة للتعبير عن شخصية أو حدث سلوك معين كما يقدم فيه الشخص المرسوم عادة في صورة ساخرة وتحليل طريف"، والموسوعة الفرنسية ترى بأن الكاريكاتير هو التعبير الأوضح عن السخرية عن طريق التشوه الفكاهي لشخص بالمبالغة المعتمدة في ملامح مميزة للوجه و أبعاد الجسم".

وعرفه برينان (Brennan): بأنه نوع من التجسيد المصور لملامح الوجه يسعى فيما يشبه المفارقة إلى أن يشبه الوجه ا لدي يصوره إلى أن يختلف عنه أيضا أنه يضخم في حجم المعلومات الدالة إدراكيا في حين يقلل من شأن التفاصيل الأقل أهمية و يؤدي التعريف الناتج في الصورة إلى إشباع خاص لدى المتلقي ، فيما يخص ما هو فريد و مميز و جديد و مضحك فيها " [1].

ويرى هنري برجسون الكاريكاتير على أنه الاعوجاج والتشوه الموجود بالطبيعة ذلك من خلال التضخيم ويجعلها مرئية لكل الناس فالكاريكاتير يشوه نماذجه على نحو ما كان يمكن أن تشوه من تلقاء ذاتها فهو يكشف عن عصيان المادة العميق الكامن وراء انسجام الصورة الظاهري فيرسم لنا تنافر وتشوه موجودين في الطبيعة على حال الشروع لكنهما لم يكتملا

[1] _حسين شفيق : الصحافة المتخصصة المطبوعة الإلكترونية , رحمة بورس للطباعة والنشر ، 2006، ص 138 . 157.

لأن ثمة قوة أسما قد كبحتهما "[1] ، وهذا الفن فيه مبالغة من غير الشك ولكن ليست هي غايته بل مجرد وسيلة للتعبير عن فحوى الفكرة.

وهو في العادة صورة شخصية بور تريه تحرف منه الملامح المميزة لشخص معين أو يبالغ فيه بالطريقة التي تؤدي إلى حدوث أمر مضحك لدى المتلقي"[2]، ومعنى ذلك أن الكاريكاتير فن مركب من عنصري التشكيل والكوميديا أو السخرية يهدف أساسا إلى بعث جو من السرور في نفسية المتلقي .

وفي العرف الاصطلاحي يعد الكاريكاتير فنا ساخرا كونه يثير السخرية في تناوله المشاكل التي تواجهنا وقد وظف ضمن النقد الاجتماعي لقدرته على إضفاء جو من المدح والإضحاك وخلق التسلية ويمكن كذلك اعتباره كاميرا حية وحساسة تنقل وتلتقط المواقف الحزينة أو السعيدة اجتماعية كانت أو سياسية عامة أو خاصة"[3].

وحسب هاشيت (Harchette)فالكاريكاتير لوحة فيها مبالغة من الخطوط المختارة تعطي للشخصية تمثيلا هجائيا "[4]، ومن العرب الذين تناوبوا على الاهتمام بالكاريكاتير والنظر فيه جلال الرفاعي والكاتب الصحفي عادل حمودة والأديب الجزائري عزالدين ميهوبي، وما كان يجمع بين هؤلاء حول مفهوم الكاريكاتير هو فن تهكمي يتجاوز الكتابة

---

[1] _عصام حنفي:دراسة تحليلية لكاريكاتير الموقع:.3252560605: http://www.starting.com/f.aspxpt

[2] _ماجد سالم تريان: سيمائية فن الكاريكاتير السياسي، كلية الإعلام،جامعة الأقصى، العدد22،فلسطين،2013، ص37.

[3] _عاطف محمد سلمة :الجدور التاريخية لفن الكاريكاتير، صحيفة الحياة الجديدة،6يونيو1996،ص6.

[4] _ Harchette : le dectionnaire ; francais ;longue francaise avec phonetique ;et ethnologie ;1992 ;p82

مشاغب ومشاكس يجرح ويداوي .ويقف عند ناجي العلي على أنه رسالة يتخاطب بها الفنان مع الناس، أما الفنان علي فرزات فينظر إلى الكاريكاتير على أنه أكثر ملائمة للتعبير عما نحن فيه من واقع سياسي"[1] .

"فالرسم الكاريكاتيري فن تعتمده مختلف الصحف في شتى أنحاء العالم لكونه لغة صورية بسيطة ومعبرة ومؤثرة يمكن فهمها من قبل جميع القراء حتى لو كانت الصحيفة بلغة لا يفهمها القارئ"[2] ، كما أن الكاريكاتير في العالم الغربي "يؤلف صورة للتناقض الحاد بين آمال الرسام وحقائق وجوده الصارخة، أما في العالم الثالث فيحمل قوة الهجاء العنيف التي تتصدي لكل ظواهر الشر والعدوان وتناوئ قوانين الجدب الاستعماري ظاهرة أو مستترة"[3].

فالكاريكاتير فن يحاول تغيير واقع من خلال إظهاره في صورته الحقيقية عن طريق رسم صورة مشوهة لملامح شخصيات مختلفة، قد تظهر للمتلقي أول مرة على أنها مجرد صور غرضها التسلية والترفيه ، لكن بعد التعمق في تفاصليها تتماها الصورة الضبابية للانطباع الأول وتنجلي لتفصح عن بؤس ومعاناة وعن الحياة المتأزمة من نواحيها المختلفة السياسية والاجتماعية.

---

[1] _علي منعم القضاة : فن الكاريكاتير في الصحافة اليومية ، دراسات أكاديمية، العدد8، 2012، ص152.

[2] _بيرق جمعة الربيعي: فن الكاريكاتير في الجرائد العراقية،(دراسة وصفية تحليلية)جامعة بغداد، كلية الإعلام، العدد19، 2013، ص125.

[3] _حسن السوداني: تموز، مجلة فصلية ثقافية تعنى بالآداب والفن والفكر، 2012، ص11.

2-كيف انتقل الكاريكاتير من الصورة (الرسم) إلى النص السردي:

إدا ما سألنا المثقف أو المتعلم أو غيرهما من عامة الناس حول كلمة كاريكاتير فإن دهنه يحيله مباشرة إلى الصحافة ، أي تلك الرسوم الكوميدية الساخرة التي تنشر في إحدى أعمدة الجريدة سواء كانت تلك الرسوم تعبر عن ذاتها أو مرفقة بنصوص شارحة لها فالكاريكاتيري يتبنى فكرة يدافع عنها"فمثله يخترق الفنان الجاد الفكرة التي توجد خلف المظهر الخارجي كذلك يستحضر فنان الكاريكاتير جوهر ضحيته ويعرضها أمام جمهوره وبالطريقة التي كان سيبدو عليها فعلا"[1]

لكن إذا تطرقنا إلى الكاريكاتير كفن بعيدا عن الصورة واتجهنا إلى مجال الأدب تحديدا، نجده يطرح عدة تساؤلات، فإذا عدنا إلى النص الأدبي على أساس كونه كاريكاتير، نجده مهمش غائب عن الدراسة ، أما نحن بصفتنا خضنا هذه التجربة فقد تبين لنا أن هناك بعض عباقرة الأدب المتمكنين ممن استطاع أن يخلق طفرة في النص الأدبي من خلال جعله هزلي ساخر يرتحل بفكرة القارئ وخياله إلى تجسد صورة حية عبر ذلك الفيض الذي لا حصر له من المعاني والدلالات المنطوية خلف كل كلمة من كلمات المتن، وبذلك يكون الأديب قد صنع لروح الكاريكاتير هيكلا آخر يعيش من خلاله ونقله من الصورة المألوفة وحطم كل الرؤى المعهودة التي تربط الكاريكاتير بالصورة وفقط، خطفه من جدران الكهوف وأعمدة الصحف كما هو بصورة الظاهرة ودلالاته العميقة، بسطحيته

[1] _حسنين شفيق:الصحافة المتخصصة المطبوعة الإلكترونية ،رحمة برس للطباعة والنشر ، 2006م، ص158.

الهزلية وأغوار ه التي تبوح عن القهر والمعاناة وتسقط الستائر عن الواقع المرير إلى جوف الدهاليز السردية، وبين طيات الحكي أثبت النص من خلال جرأة الأديب أنه معادل موضوعي للرسم (الصورة) في تجسيد حي وصادق للكاريكاتير.بفضل سحر بيانه وإنسانية قضيته.

ثالثا: المقامة البغدادية

1-تعريف المقامة البغدادية:

هي عبارة عن حديث موجز فيما يشبه قصة قصيرة، جاءت في قالب فني سلس و منسجم، وهي ذات نسيج سردي محكم السرد يسرد أحداثه راوي سارد هو عيسى بن هشام، كما نجد الهمذاني قد وضع لمقامته هده بطلا سماه أبو الفتح الإسكندري و هو بطل مغامر، واسع المخيلة شديد الحيلة يمثل شخصية فكاهية، وقد سميت هده المقامة بالبغدادية نسبة إلى بغداد و هو المكان الذي وقعت فيه الحادثة و دلك من خلال قوله "اشتهيت الأزاد وأنا ببغداد وليس معي عقد على نقد" [1]، و أخد ينسج حيلته ليظفر بالطعام من خلال الإيقاع بالأعرابي المغفل " وهده المقامة من النوع الضاحك الفكه الذي يصف فيه البديع أنواع الحلوى و الطعام بطريقة يسيل لها اللعاب وتفتح الشهية "[2] ، كما نجد هده المقامة تعري الواقع الاجتماعي بكل تفاصيله و سلبياته "وتحدثت عن جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية في بغداد وصورت بدقة حياة شريحة من أهل المدن اتخدت الاحتيال حرفة لها

[1] _محمد محي الدين: مقامات أبي الفضل بذيع الزمان الهمذاني، مطبعة المقاصد، مصر، 1443هـ-1923م، ص66.
[2] _مصطفى الشكعة: بديع الزمان الهمذاني، عالم الكتب ، بيروت، لبنان،ط1، 1983م، ص418.

تمارسها بفن واقتدار وتأني وروية، كما تصور حياة شريحة من أهل الريف وما يتميزون به من بساطة وسذاجة وفقر "[1]

تعد المقامة البغدادية واحدة من روائع الأدب العربي و طرائفه ، تراوحت بين الظاهر الهزلي الفكاهي، والباطن المشحون بكل معاني الظلم والفقر و البؤس والحرمان ، اختزلت تجربة عاشها الإنسان في القرن الرابع الهجري ، في ظل الطبقية الاجتماعية ، وفساد جهاز الحكم ،كان كل هدا من خلال أسلوب فني مميز حلي بكل زخارف البيان والبديع ،يهدف إلى تقديم المعرفة على طبق من ذهب لتعليم الناشئة.

2-البناء الداخلي للمقامة البغدادية:

تتميز المقامة عمن سواها من الفنون الأدبية الأخرى ببناء داخلي فريد ومميز وهي تقوم على أمور عدة منها :

- **الشخصيات:**تقتصر المقامة البغدادية وكغيرها من باقي المقامات هما راوي المقامة حيث نجد الهمذاني يفتتح مقاماته هاته بقوله"حدثنا عيسى ابن هشام قال"[2]، والبطا الذي يسرد أحداث المقامة وهو من ابتكار البديع ويرجح أنه بديع الزمان الهمذاني نفسه وقد ظهر بصورة عيسى ابن هشام.

[1] _عبد السلام أمين الله: دراسة فنية بديعية(المقامة البغدادية) في مقامات الهمذاني، مجلة العاصمة ، مجلد4، 2012م، ص45.

[2] _محمد محي الدين : ابي الفضل بديع الزمان الهمداني ،مطبعة المقاصد، مصر، 1443ه،1923م،ص66.

- **الحيلة:**وهي الأصل الذي نسجت عليه المقامة فقد وجدت لهذا السبب والكدية هي الوسيلة لكسب العيش وقوت اليوم من خلال الاستجلاء ، وهي تبرز صورة المجتمع ومشكلاته حيث يقول:"اشتهيت الأزاد وأنا ببغداد وليس معي عقد على نقد فخرجت انتهز محالة فإذا أنا بسوادي يسوق بالجهد حماره ويطرف بالعقد إزاره فقلت ظفرنا والله بصيد"[1]
- **البراعة اللفظية:**جاءت المقامة البغدادية بهدف تعليمي أساسا ، حيث نجد أن البديع كان يرص ألفاظه بعناية شديدة كما ترص في العقد الجواهر، والغرض هو نقل سحر الأسلوب وجمال الألفاظ وحسن صنعة الأدب ويتجلى ذلك في قوله:"زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين فهو أجرى في الحلوق وأمضى في العروق وليكن ليلي العمر، يومي النشر، رقيق القشر، كثير الحشو، لؤلؤي الذهن، كوكبي اللون، يذوب كالصبغ قبل المضغ"[2].

[1] _المرجع السابق، صفحة نفسها.

[2] _محمد محي الدين:ابي الفضل بديع الزمان الهمذاني،ص68،.

الفصل الثاني:

المشاهد الكاريكاتيرية

أولا: مشهد التهكم

ثانيا: مشهد المبالغة في الوصف

ثالثا: مشهد التقزيم

تمهيد:

تعد "السخرية ظاهرة خفيفة الظل سهلة الوقع جذابة فضفاضة تشيع السحر في الأسلوب الأدبي الذي تتخلله كالحياة نفسها وهي تسري في الكائن الحي"[1]، وهي فن أدبي متطفل اقتحم أدبنا العربي واستطاع أن يفرض نفسه ويثبت وجوده ، فالسائح في دروب هدا الفن يجد أن كتابه على الرغم من قلتهم فهم من خيرة أدباء الأمة ، استطاعوا من خلاله أن يكسروا حاجز الصمت ويعبروا بكل أريحية عن الواقع المتعفن ، وعن الأنظمة السياسية المستبدة ، وأن ينفسوا عن غضبهم ويصوروا طموحاتهم متخطين كل الرقابة والحجز الممارسة عليهم

شاعت السخرية في أدبنا العربي شعره ونثره، قديما وحديثا" إنها ترتقي بالفكاهة إلى المستوى الأكثر ذكاء ولباقة، فتجعل لها معنى وتعطيها قدرة خاصة على أن يكون لها هدف وأن تخدم هدا الهدف وأن تحتال لتحقيقه وأن تكون لها إمكانية التأثير، وهي لدلك تتخذ مادتها من العيوب التي لا يطيق لها وجود"[2]، فهدا التصوير الإبداعي الخلاق و المميز الذي يعد توأم الضحك وإن لم يبعث عليه جاء لمقاصد نبيلة تسعى لاستئصال جوانب الدهور التي وصل إليها المجتمع"فالغرض منها تطهير الحياة والمجتمع من الظواهر السلبية التي تجانب التطور وتناهض الحركة نحو المستقبل"[3]

---

[1] _حامد عبد الهول: السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م، ص16.

[2] _ الرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] _ المرجع نفسه، ص30

ومن الأدباء الدين تعاملوا مع الأدب الساخر نجد في طليعتهم الجاحظ في كتابه" البخلاء"، وكدا المازني وبديع الزمان الهمذاني في مقاماته، هذا الأخير نجده يقدم تصوير ساخر في إحدى مقاماته ألا وهي المقامة البغدادية، هده المقامة التي تعد فتحا جديدا في محاولة كتابة القصة العربية القصيرة في القرن الرابع الهجري وإن اختلفت في الموضوعات والأغراض، فهي بمثابة محاولة جادة لتصوير البنية الاجتماعية التي عاش فيها، من خلال اللجوء إلى الأسلوب الهزلي الساخر مستخدما سلطته في التمكن من الأسلوب ، وتسخيره لخدمة أهدافه في تعرية الواقع ومحاولة تنوير العقول و ايقاض ضمائر الناس

وقد سكب كل دلك في مشاهد طريفة مضحكة الظاهر، أليمة الباطن فقد ارتأينا تقسيمها إلى مشاهد ثلاث .

أولا: مشهد التهكم

تحدث بديع الزمان الهمذاني في مقامته هده على لسان عيسى ابن هشام فقد صرح مند بداية المقامة عن الحالة الاجتماعية الصعبة والمزية التي يشهدها المجتمع العباسي في القرن الرابع الهجري ، من فقر و بؤس وانهيار للقيم الأخلاقية، وتفشي بعض الظواهر كاكدية والاحتيال ، حيث نجده يقول "اشتهيت الازاد وأنا ببغداد وليس معي عقد على نقد"[1]، فدفعه دلك للخروج إلى الكرخ وهي منطقة تقع بغرب بغداد يجول ويصول بين المحلات لعله يقضى غرضه في الحصول على الأزاد وهو نوع من أنواع التمر ، فاستطاع بديع الزمان

---

[1] _محمد محي الدين: مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمداني، مطبعة المقاصد، مصر، 1443هـ-1923م، ص66.

الهمذاني بفضل براعته اللغوية وفطنته المتفردة أن يخلق نسيجا متكامل يؤرخ لميلاد صورة حية و يصور مشهدا كاريكاتيريا ساخرا فالقارئ لقوله"فادا أنا بسوادي يسوق بالجهد حماره ويطرف بالعقد ايزاره"[1] يحيله دهنه مباشرة إلى صورة رجل ميسور الحال غريب الدار بادية عليه علامات التعب والإرهاق ذي ثياب رثة بالية ، تراكمت العقد والصرر التي تحوي داخلها القطع النقدية على أطراف قميصه، فهو بقدر ما يسخر من الحالة التي هو عليها من سذاجة فهو يتهكم عليه لأن حالته لا تتناسب مع ما يشهده العصر من تحولات كبرى، وليس دلك فحسب بل يشير أيضا إلى الطريقة التي يسوق فيها حماره، فقد كان يجره بجهد ولا طاقة له للسيطرة عليه ، مما يوحي أن الأعرابي محدود الذكاء قليل الحيلة تنقصه الفطنة ورجحان العقل، فالأعرابي إذن لا يستطيع التعامل مع مخلوق أذكى من الحمار ،فالراوي بفضل فطنته وسرعة بديهته استطاع أن يقرأ هدا الجانب الطفولي البريء القاطن في ذات السوادي من ظاهره فقط، كل هده المؤشرات جعلته فريسة سهلة المنال له، فلم يضيع عيه هده الفرصة الذهبية و وظف ذكائه لانتهازها ، فأقبل نحوه بكلمات عامرة باللطف والتودد محشوة بالهزء الخفي، حيث استهل حديثه معه قائلا"حياك الله أبا زيد، من أين أقبلت؟وأين نزلت؟ ومتى وفيت؟ "[2] وبالرغم من أن الراوي يخبره مباشرة بعدم تعرفه عليه مرتين بمناداته باسم ليس له أولا وسؤاله عن المكان الذي وفد منه ثانيا لكن الأعرابي لم

[1] _المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يتفطن لدلك وقال له"لست أبى زيد ولكني أبو عبيد"[1]،ومازال الراوي يبدع في الهزأ والسخرية من السوادي ويؤكد له مرة تلو الأخرى سذاجته وقلة حيلته، فسأله عن حال والده فقال:"كيف حال أبيك؟ أشاب كعهدي أم شاب بعدي؟ "[2] هدا يؤكد أنه لا يعرف أي شيء عن والده هل مزال شابا أم غزاه الشيب ،فالراوي هنا يضمر سخرية خبيثة المرمى انسدلت عليها ستائر الكلمات ،فعلى الرغم من أن هشام أخطأ فيه مرتين مرة في اسمه مرة وفي والده مرة أخرى إلا أن السوادي شديد السذاجة والطيبة لم يخامره ولم ينتبه ريب في أمره لا بل راح إلى أبعد من دلك وظن أن عيسى بن هشام قد فجع وتحصر لوفاة والده وأنه أراد أن يمزق ثيابه، فينشده الله أن لا يمزق عليه الجيب ، كأن الراوي هو المفجوع للفقد لا ابنه العزيز وفلذة كبده فنجده يقول "ومددت يد البدار إلى الصدار أريد تمزيقه فقبض السوادي على خصري يجمع وقال نشذتك الله لامزقته"[3] ، بعد هده المراوغة الممتعة والشيقة التي خاض الراوي غمارها بفضل فصاحته ودهائه وجودة تمثيله كلل بنجاح باهر قرر الارتقاء درجة أخرى في سلم حيلته وكله يقين وعزم من سداد خطواته التي بات مما لاشك فيه أن أقدامه لن تزل ، فالسوادي إن عجز سلفا عن التفطن لحيلة هدا المكدي المحتال البارع الخفيف الظل فإنه لن يتراجع أبدا أمام عرضه المغري الذي منحه إياه على طبق من ذهب ، فقال له وهو يدعوه إلى الغداء "هلم إلى البيت نصب غداءا أو إلى السوق نشتري شواء ، والسوق أقرب وطعامه

---

[1] _محمد محبي الدين : مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، مطبعة المقاصد، مصر، 1443هـ، 1923م، ص66.

[2] _المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[3] _المصدر نفسه، ص67.

أطيب " [1]،فاستفزه بعرضه المغري و أمالته عاطفة اللقم ، ويكون بدلك هدا الحذق قد أنهى جولته الأولى بنيله موافقة السوادي على مرافقته لتناول وجبة الغداء واوقعه في شرك حيلته بكل يسر وسهولة دون أية عناء .

القارئ لنص المقامة البغدادية يتذوق فيها نكهة لاذعة تحيل ذهنه إلى الكثير من المضمرات النصية التي لم ترد في ثنايا السرد بلفظها الصريح، وإنما جاءت بمعانيها المختلفة التي تبرز من خلال تلميحات كثيرة يبوح بها الكاتب. فالمطلع على المقامة يجب أن يكون على دراية بتاريخ الحضارة العباسية وعلى ظروف ولادة هدا النوع الأدبي ، فلا يخفى علينا أن العصر العباسي قد شهد انقلاب في القيم وشيوع مظاهر الترف والبذخ والثراء كان دلك الدافع لنشوء الطبقية ،وظهور طبقات فقيرة معدمة تعجز عن توفير قوت يومها ، وقف الهمذاني عند هذا البعد المجتمعي في مطلع مقامته فهو هنا لا يصور لنا مجرد طرفة مضحكة وصورة ساخرة غرضها الترفيه بقدر ما يعري واقع نتن ومتعفن ، يحاول من خلاله إبراز مكامن تفشي الفساد ففي قوله"اشتهيت الأزاد وأنا ببغداد وليس معي عقد على نقد فخرجت أنتهز محالة..... فإذا أنا بسوادي... فقلت ظفرنا والله بصيد..."[2]، فهو يصرح هنا أن الفقر والحاجة والبطالة قد طالت أبناء المجتمع وبات من العسير الحصول على أدنى الضروريات والحاجيات، مما فتح المجال لاستفحال ظواهر سلبية وقيم لا أخلاقية تتنافى مع ما عهده الناس وألفوه يقول شوقي ضيف: "أدى بؤس هده الطبقة إلى

---

[1] _المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] _ محمد محي الدين المقامات، ص66.

نشأة طبقة من الأدباء المتسولين المسمون بالمكديين وكانوا خليطا من هؤلاء الأدباء ومن المتظاهرين بالنسك...مستخدمين كل حيلة من شعر أو تقى أو رقية ويدل دلالة قوية على ما كانت تعانيه الطبقة العامة من البؤس والعيش المر أن كثر بها اللصوص"[1]، لقد بات الغش والخداع والمكر والسرقة والاحتيال والكدية وسيلة لمحاربة قهر الظروف لهم وظلم السلطان يقول ابن الأثير "في هدا القرن اشتد الغلاء بالعراق واضطر الناس، فسعر السلطان الطعام ، فاشتد البلاء"[2].

جاء البطل في المقامة البغدادية فقيرا محتالا مخادعا شحاذا ما هو سوى انعكاس مباشر للظروف والأحوال التي نشأت المقامة فيها فالبطل اشتهى الأزاذ (التمر) ولكن جيبه يقف حائلا دون ذلك ورغبته الملحة في تحقيق هده الرغبة البيولوجية تجعله يسلك كل السبل لتحقيق دلك فلم يجد سوى السوادي المسكين ليكون فريسته ، ولم يختره عبثا بل كان ماكرا في اختياره بفضل خبرته بالناس وتمرسه استطاع الكشف عن الجانب الطيب والساذج والبريء الذي كان السوادي يحمله فالراوي هنا يوضح تمرس المجتمع ودهائه في الاحتيال ولم يبقى مستسلما لواقع المرير، فالمحتال في هدا العصر بات خبيرا في اختيار صيده، عبقريا في التكيف مع المواقف التي تواجهه، فالراوي حين بدر السوادي بالتحية وأجرى معه حوارا ساخر لكنه لما أخبره السوادي عن موت والده أظهر تفجعه وحزنه لهدا المصاب الجلل

---

[1] _شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي4، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر ، القاهرة، ط2، د ت، ص46.

[2] _ابن الأثير: الكامل في التاريخ، صححه: محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص216.

بسرعة وسهولة فهدا ينبئ عن ذكائه الحاد وسرعة بديهته في استدراك موقعه والسيطرة على زمام الأمور حتى لا يكشف أمره.

كما أن عيسى بن هشام تفنن في خلق أساليب مختلفة ولم يستعن بأسلوب واحد للتأثير على الضحية والإيقاع به دليل على المهارة التي وصل إليها المجتمع، نتيجة الفقر حتى فتحت فنونا لا فنا واحدا لأساليب الغش والخداع والاحتيال والإيقاع بالناس، وجاء البطل فردا من المجتمع يعكس معاناته وانحطاطه في نفس الوقت .

ثانيا: مشهد المبالغة في الوصف

كانت عزيمة الراوي في تحقيق رغبته الطبيعية في الحصول على الطعام تفوق أي تفكير أخر فحارب في سبيل دلك ملتجأ إلى خبرته بالناس وحدسه القوي صنيع تمرسه بالدهر وآفاته، فقد استطاع أن يستولي على وجدان و شخصية السوادي ويعري باطنه فأظهره لنا في شكل رجل غريب منهك من سفره وجره لحماره يوحي بسذاجته مما جعله الخيار الأمثل لتحقيق كديته فدعاه إلى السوق وهو واثق من موافقته على دلك بفضل براعته وجرأته وتميز أسلوبه في الإقناع، فقد أوهمه بصحبته لوالده وحزنه وتفجعه على موته ليضع نفسه في هدا المقطع بصورة الصديق الكريم المتأسف الحصران على حال السوادي فدعاه إلى الغداء في بيته لكن سريعا ما تراجع عن دلك مبررا بقوله " هلم إلى البيت نصب غداءا أو إلى السوق نشتري شواء والسوق أقرب وطعامه أطيب" [1]، فاستفزه بعرضه المغري فوافق

[1] _محمد محي الدين : مقامات ابن الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص67

على مرافقته إلى المطعم، هنا تماما نجد بديع الزمان الهمذاني يطلق براعته وتميزه في وصف صنوف الطعام وأشهى الحلويات وكل ما تستصيغه النفس بعبارة دقيقة الوصف خفيفة الوقع وهو يطلب للسوادب وجبة الغداء بقوله "افرز لأبي زيد من هدا الشواء، ثم زن له من تلك الحلواء واختر له من تلك الأطباق، وأنضد عليها من أوراق الرقاق ورش عليها شيئا من ماء السماق ليأكله أبا زيد هنيا" [1]، فعيسى بن هشام كان يطلب للسوادي كل ما تشتهيه نفسه هو متسترا خلف كونه المضيف المفرط في رعاية ضيوفه والصديق الذي يخلد ذكرى أصدقائه ولا يتنكر لهم، كما لا يخفى علينا ترسله في الوصف أنه يصور لنا مظاهر الترف والبذخ والفحش في الثراء الذي تعيشه الحضارة والمجتمع العباسي، وهو يقول:" قلت لصاحب الحلوى زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين فهو أجرى في الحلوق وأمضى في العروق، وليكن ليلي العمر،يومي النشر، رقيق القشر، كثيف الحشو، لؤلئي الذهن، يذوب كالصمغ قبل المضغ"[2]، نجده يحشد الكثير من صور البيان والبديع ويتفنن في رصد أنيق اللفظ، فهو بدلك يسعى إلى الحفاظ على التراث اللغوي العريق الذي تزخر به الحضارة العباسية وما سبقها من الحضارات .

لما قضى عيسى بن هشام حاجته في تحقيق رغبه عمد إلى اللجوء لحيلة مقنعة تبعده عن المطعم والسوادي على حد سواء والتملص من دفع ثمن الغداء حيث نجده يقول"ثم قلت يا أبى زيد ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بالثلج ليقمع هده الصارة ويفتأ هده اللقم الحارة،

---

[1] _المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[2] _المصدر نفسه، ص68

اجلس يأبي زيد حتى نأتيك بشربة ماء" [1]، فهو بدلك يظهر وده اللامتناهي وتعاطفه اللامحدود وكرمه الذي لامثيل له، فهو لم يغفل كبيرة ولا صغيرة من طعام وماء، وبدلك يكون قد نجح تماما في نسج أشراك حيلته والنجاة من الشواء ودفع ثمن ما أكل، قال:"ثم خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني، أنظر مايصنع"[2].

في المشهد الكاريكاتيري الثاني كان بديع الزمان الهمذاني بارع في الوصف ،محكم التمكن من الأسلوب، أنيق الوصف، وهو يرصد ألوان من المآكل والحلوى والماء، بداية من قوله" وأتينا شواء يتقاطر شواءه عرقا، و تتسايل جوذباته مرقا فقلت: افرز لأبي زيد من هدا الشواء، ثم زن له من تلك الحلواء واختر له من تلك الأطباق، وأنضد عليها أوراق الرقاق ورش عليها شيئا من ماء السماق...إجلس يا أبي زيد حتى نأتيك بسقاء يأتيك بشربة ماء" [3]، وأنت سائح بين دروب هدا الوصف الشقي لا متخيل لأطيب اللحوم و ألذ الحلويات وفقط، بل وكأنك تحضر الغداء معهم في إحدى أفخر المطاعم المعاصرة وتوشك أن تتذوقه، فاللحم لشدة ذسومته ونضجه يفرز مرقا، والحلوى محشوة باللوز والجوز سهلة المضغ ويختم بشربة ماء الثلج يخمد به لهيب العطش، وكيف لرجل في هدا العصر أن يعرف ماء الثلج فهو بطريقة ما يقتحم عصرنا أو يقحمنا عصره.

---

[1] _ محمد محي الدين: مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمداني،ص68.

[2] _المصدر نفسه، ص69.

[3] _المصدر نفسه، ص67-ص68-ص69•

فبديع الزمان الهمذاني هنا يسخر الوصف لرسم صورة حية للحضارة العباسية، فالواقع هو سيد الموقف و يفرض على اللغة والخيال الفناء في خدمته والتماهي خلفه، فالحضارة العباسية شهدت بروز ألوان العيش الرغيد والبذخ والترف، وقد روي في هدا الصدد قصص خيالية على نحو ما أخرج عن محمد بن حفص الأنماطي قال:" تغدينا عند المأمون فوضع على مائدته أكثر من ثلاثة مائة لون"[1]، مما يؤكد أن الناس في هدا العصر وخاصة السادة منهم قد عرفوا وطعموا صنوفا شتى من ألوان الطعام، وكان الطهاة يتفنون في تقديم الأفضل" ما استلزمه المال الكثير المتداول بينهم من ترف بالغوا فيه حتى كانت موائدهم تحشد فيها ألوان الأطعمة حشدا"[2]، لكن ليس الكل قادر للوصول إلى هده الألوان بل وحدهم أصحاب الطبقة العليا والتابعين لهم من ينال شرف الوصول إلى هدا البذخ.

فا اتجه البعض من هؤلاء المعدمين من عامة الناس إلى الحيلة والكدية كذريعة لنيل مبتغاهم وتمسك البعض الأخر بقيمه ومبادئه في ظل تلك الظروف الحالكة، هدا من جهة أما من جهة أخرى فلا يمكن نكران الجانب الفني الذي سيطر على المقامة ككل وعلى هدا المشهد تحديدا فقد جاء بلغة مميزة تشكل ظاهرة خاصة، وأسلوب فريد، فاللغة تجنح نحو الغرابة والغموض لأن بديع الزمان الهمذاني يسعى بالدرجة الأولى أساسا إلى الحفاظ على تراثنا العربي القديم، وتمريره للأجيال" فقد خالط العرب بعد تمام الفتح في العهد الأموي

---

[1] _جلال الدين عبد الرحمان السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط1، 911هـ-2002م، ص251.

[2] _محمود مصطفى: الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، مطبعة الباجي الحلبي، مصر،1357هـ-1937م، ص12.

أشتاتا من الأمم المختلفين في أجناسهم و ديانتهم ولغاتهم و اجتماعيتهم " [1]، فتزايد الوافدين على مجتمعنا العربي العريق والاحتكاك بهم فتح الباب لتفشي اللحن فتفطن بديع الزمان الهمذاني بكونه أحد مثقفي العصر إلى ما يجري، فأراد أن يحي التراث ويبعثه في قالب سردي، سكب عليه جرعة من الخيال بهدف المتعة وتنمية الخيال من جهة وتلقين الناشئة بسرعة وسهولة من جهة أخرى.

ثالثا: مشهد التقزيم

استطاع عيسى ابن هشام التملص من السوادي وتركه وحيدا داخل المطعم يواجه قدره نجده يقول:"اجلس يا أبى زيد حتى نأتيك بسقاء يأتيك بشربة ماء، ثم خرجت و جلست بحيث أراه ولا يراني"[2]، فقد تمكن هشام من وضع لمسته الأخيرة على حيلته وأوهم السوادي المغفل بأنه فياض الكرم شديد الحرص على راحة ضيفه.

انتظر السوادي حتى مله الانتظار فقرر الرحيل لكن الشواء حال دون دلك ومنعه من المغادرة قبل أن يدفع ثمن ما أكل، وهنا تماما نجد أن السوادي المسكين قد وضع في موقف لا يحسد عليه، وما زاد الطين بلى هو أن الشواء كان فظا غليظا معه، فلما أبى السوادي

[1] _جورجي زيدان: تاريخ الآداب اللغة العربية، تعليق :شوقي ضيف، دار الهلال مصر، 1213هـ-1978م، ص24.

[2] _محمد محي الدين: مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص69.

أن يدفع ظننا منه أنه كان ضيفا، حيث قال أبو زيد" أكلته ضيفا" [1]فلكمه لكمة وثنى عليه بلطمة ثم قال:"الشواء هاك ومتى دعوناك؟ زن لنا يا أخ القحة عشرين "[2].

وضعنا هنا بديع الزمان الهمذاني أمام مشهد كاريكاتيري طريف ومضحك، فكيف لنا أن نتخيل رجل يتعرض للكم واللطم دون أن يحرك له ساكن أو يبدي أية محاولة للدفاع عن نفسه، والأقبح من دلك أنه استسلم لواقعه وبكي، فقد أظهره هنا كالطفل الصغير المذنب الذي تنهره أمه فينفجر باكيا، وجعل يحل عقد إزاره حتى يستخرج منها القطع النقدية التي تراكمت بداخلها، متأسفا على حاله وكيف أوقعته طيبته من جهة وطمعه من جهة أخري فريسة لهدا المكدي الماهر،شعر السوادي في هدا الموقف بالضعف والهوان وقلة حيلته، وأدرك أنه وقع في الشرك المنسوج بدقة وإحكام، فجعل يلوم عيسى بن هشام على ما حدث له فوصفه ليس بالقرد فحسب بل بالقريد، فقد مسخه إلى صور حيوان و لم يكتفي بدلك فحسب بل قزمه احتقرا وسخرية واستهزاءا به، ربما ليفشي بعضا من من غليله اتجاهه ومواساة وعزاءا لنفسه ولكرامته من خلال قوله:" قلت لدلك القريد أنا أبو عبيد، وهو يقول أبو زيد".[3]

خرج بديع الزمان الهمذاني من مقامته هده بمقطع شعري متكون من بيتين شعريين أظهر من خلالها البطل عيسى بن هشام في صورة المنتصر المفتخر بما كلل به من نجاح بعد أن وفق في نسج حيلته والنصب على السوادي الساذج البريء وأوهمه بضيافته له،

---

[1] _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] _المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] _المصدر نفسه، الصفحة نفسها

ماكان هدا سوى تلبية لرغبته الطبيعية في سد جوعه بكل السبل حيث نجد عيسى بن هشام أنشد قائلا:"

اعمل لرزقك كل ألة ****** لا تقعدن بكل حالة

وانهض بكل عظيمة ****** فالمرء يعجز لا محالة"[1]

ودلك فيما معناه انهض إلى السعي في سبيل الرزق بكل ما تملكه من عزيمة قبل أن يدركك العجز ويحوطك الحرمان رافعا بدلك راية نصره مفتخرا بذكائه وحيلته، لكنه لم يعلم أنه هو الخاسر الوحيد هنا، فالسوادي طيب الخصال مثل صورة رائع لبعض القيم الأخلاقية التي كاد السعى خلف شهوات الدنيا وملذاتها وتحقيق رغبات النفس ومتطلباتها أن يطمسها ويجعلها طي النسيان ويزيلها من مجتمعنا، وهو بدلك يكون قد لقن عيسى بن هشام درسا قاسيا في الأخلاق .

تطرق بديع الزمان الهمذاني في هدا المشهد الكاريكاتيري الظاهر الأخلاقي الباطن إلى أخلاقيات المجتمع العباسي وثقافته السائدة خلال القرن الرابع الهجري، فالمكر والحيلة والخداع والكدية باتت كلها سلوكات عادية، فلا ضمير يحد من تفشيها، و لا مجتمع واعي يرفض تواجدها ويقضي عليها، كأن الكل يتفق على أنها ثقافة العصر بقدر ما هي شجاعة وذكاء ومهارة، فقد رصد لنا بديع الزمان شخصية السوادي التي تمثل عامة الناس، وما يتسمون به من سذاجة بلهاء وطوية نقية تخدعهم أبسط المظاهر فينخدعون، أو بالمعنى الأصح يمثل أخر ما تبقى من فتات القيم الأصيلة التي كانت من أهم دعائم قيام الحضارة

[1] _المصدر السابق، ص69

أحد أبرز دوافع التنمية والازدهار،هده القيم التي تتلخص في الطيبة والبراءة وسذاجة والتي أضحت محلا للسخرية والضحك، فالفقر والحاجة أعمت بصائر الناس وافرغته من قيمهم وكرست جوهرهم، فبديع الزمان الهمذاني هنا يخاطب الضمائر لتصحى ويشد من هممهم للترفع عن الرذائل.

وضع صورة البطل وهو ينسحب من المطعم وتركه للسوادي خلفه يواجه قدره ويدفع ثمن الطعام الذي تناوله ضيفا، ويخلص نفسه من المأزق الذي وضع فيه فدفع باكيا مجبرا بعد أن عنفه الشواء ضربا ولطما، ليضعنا أمام تساؤلات عدة فمثلا لمادا لم يترك البطل السوادي يذهب في حال سبيله حين رأى فيه داك المقدار من السذاجة ؟ ألم يحس في مكنونات صدره حتى لو بقليل من الشفقة عليه والرأفة بحاله؟ ألم تحز في نفسه وضعيته تلك ؟ ، كما أن الشواء كان مبلغ همه الحصول على ماله وفقط، ألم يحادث نفسه لو كان السوادي محتالا حقا سينتظر الضرب، لكان ولد بالفرار دون أن يحدث ضجة ، ودون أن يشعر به أحد، كما أنه لم يبدي أية رد فعل اتجاه الحقيقي أو يخفف على الأقل الضريبة على هذا المسكين.

أما البطل في نهاية المقامة وهو ينشد أشعار نصره مبتهجا بطريقة كسبه لقوته، فقد أعطى صورة متكاملة عن الانهيار القيمي والأخلاقي الذي نزل إليه الناس أو أجبروا على النزول إليه.

وضعت المقامة صانعها ومبدعها بديع الزمان الهمذاني، بصورة المثقف الواعي الدرك لمدى بؤس ومعاناة مجتمعه وتفطنه، للوضعية الكارثية التي آلت إليها الحضارة العباسية،

فقد كان رافضا لكل ما هو حاصل في مجتمعه و أراد أن يغير من هدا الواقع بأسلوب مختلف ومتفرد، فقد باح صراحة وصرح جهرا عن رفضه القاطع بصمت، عن طريق رسم إشارات تجرد الواقع من غطاء المكر، وحصره في زاوية مغلقة، ونبده جملة وتفصيلا ، حيث نجد في جوف النص مساحة بوح عالية أرادها البديع أن تسمع، لعل هدا الكتمان كان الخوف من جبروت السلطة هو دافعه الوحيد، لكنه استطاع أن يكسر حاجز الصمت ويبني طريقا للاصلاح .

خـاتمـــة

خاتمة :

وصلنا في الأخير إلى توقيع صفحة النهاية لتكون هده الخاتمة أخر محطة نقف عندها حاملة معها الأسطر الأخيرة التي اردنا أن تكون حوصلة شاملة ومختصرة لأهم النقاط التي خرجنا بها من الدراسة والتحليل وهي كالأتي :

- إن السرد قطاع حيوي من تراثنا المعرفي فهو خزان الذاكرة الجماعية بكل آلامها وآمالها ومتخيلاتها ، فهو قديم قد الإنسان العربي وأولى النصوص التي وصلتنا عن العرب كانت دالة على دلك.
- لم يحظى السرد العربي القديم بالعناية الكافية من قبل الباحثين العرب رغم الاتفاق على وجوده وتوفره بالنصوص المندرجة ضمن أنواع وأجناس سردية مختلفة كالأخبار وقصص الحيوان والمقامة.
- المقامة فن أدبي نثري انتشر وداع صيته في العصر العباسي عموما وفي القرن الرابع الهجري تحديدا ، ويرجح أنها الأقرب إلى القصة لأن في مجملها هي قصص قصيرة يكون فيها البطل هاشمي يرتاد الحانات والأسواق فالمقامة كانت دالة على مكان المجلس والجماعة من الناس ثم انتقلت بعد ذلك لتصبح قصة قصيرة، أصبح الأدباء يظهرون فيها براعتهم اللغوية.
- الغرض من المقامة ليس الغاية التعليمة والإمتاع فقط بل تتحدث عن المسكوت عنه في المجتمع العباسي خلال القرن الرابع هجري

- أضافت المقامات إلى الأدب العربي فنا أدبيا جديدا لم يكن له وجود قبل هدا العصر وهو فن القصة.
- يعتبر بديع الزمان الهمذاني الرائد الحقيقي للمقامات في الأدب العربي فمنذ أن املى مقاماته وذاعت بين الناس و استقبلوها بالاستحسان و الإعجاب ، اصبح لها من المنزلة ما يضاهي منزلة الشعر و لاسيما عند الخلفاء والوزراء ، فقد سابق الأدباء في النسج على منوالها إظهارا للقدرة والبراعة اللغوية والفنية فأصبحت المقامات مقياس للفن والأدب.
- عمد الهمذاني إلى كتابة مقاماته بأسلوب هزلي ساخر عن الحالة التي آل إليها المجتمع فصور لنا الحياة الإجتماعية والسياسية في دلك العصر بهذا الأسلوب لكي لا يمل القارئ ويستمتع ويستفيد منها وهده تعد أحد أسباب خلود المقامة.
- جاءت المقامة البغدادية وكغيرها من المقامات بأسلوب أدبي بليغ اهتم فيها البديع بتعليم الطلاب ألفاظ العربية وأساليبها وتزيينها بزينة العصر وهي التصنع أو المبالغة في الصنعة ، و أما الناحية القصصية فليست غاية إنما وسيلة مشوقة جذابة فقط، لدلك عني الهمذاني بالسجع الذي كان مهوى أفئدة العصر عناية عظيمة ، وقد ساعده على هذا السجع حافظة نادرة وبديهة حاضرة وذكاء حاذ إحساس دقيق باللغة.
- شاعت السخرية في أدبنا العربي شعره ونثره قديما وحديثا ، لأنها ترتقي بالفكاهة إلى المستوى الأكثر ذكاء ولباقة فتجعل لها معنى وتعطيها قدرة خاصة على أن يكون

لها هدف، فالسخرية و رغم امتلائها الظاهري بالمرح إلا أنها تخفي وراءها وتحاكي قضايا اجتماعية وسياسية وغيرها ، فهي تعري الواقع المعاش بطريقة ساخرة.

- يعد الكاريكاتير فن ساخر من فنون الرسم ، فهو بقدر مايحمل معاني هزلية مضحكة في ظاهره فهو يضمر هجاء قوي وحاد لظواهر الشر والعدوان في الباطنه.
- جاءت المقامة البغدادية كشاهد عيان على التدهور و الانقلاب في القيم الذي شهده العصر العباسي في القرن الرابع هجري ، فقد التقطت صور حية عن هده الأوضاع وجسدتها في قالب هزلي ساخر حتى تفرغها من جدية الموضوع وتعري الواقع وتدعوا للوعي والرقي عن المستوى المتعفن الذي باتوا عليه.

الملحق:

1_التعريف بالكاتب:

بديع الزمان الهمذاني هو الكاتب المترسل والشاعر المجيد قدوة الحريري وقريع الخوازمي و وارث مكانته معجزة همذان ونادرة الفلك، وفريد دهره رواية وحفظا، وغرة عصره بديهة وذكاء"[1]

هو أبو الفضل أحمد ابن الحسن ابن يحي الملقب ببديع الزمان، ولد في همذان وهي مدينة جبلية في إيران سنة 357هـ، وفي رسائله المطبوعة دلالات مختلفة على أنه من أسرة عربية كريمة استوطنت هناك، فهو ليس فارسي كما يظن و إنما هو مضري تغلبي.

أخده أبوه بالتعلم والتكثيف فاختلف إلى دروس العلماء والأدباء في بلدته وتلقى على أيديهم ما شحذ به عقله من دروس دينية و أخر لغوية وأدبية، وأهم أساتذته الذين خرجوه أبو الحسن أحمد بن فارس، ومزال يختلف على حلقات إلى حلقات هدا الأستاذ المشهور وغيره حتى أتم دروسه وأكمل تحصيله في اللغة والشعر والنثر"[2]

كان كثير الترحال لا يستقر بمكان فما كاد "يصل إلى الثالثة والعشرين من عمره حتى فكر في الرحلة عن بلدته، وفي وصفه لها بقوله:

همذان لي بلد أقول بفضله ****** لكنه من أقبح البلدان

صبيانه في القبح مثل شيوخه ****** وشيوخه في العقل كالصبيان

---

[1] _محمد محي الدين ، مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص5

[2] _شوقي ضيف: المقامة، ط3، مصر، القاهرة، ص13

فولى وجهه عنها وقصد إلى حضرة الصاحب بن عباد في الري، نزل البديع ساحته ومدحه ببعض شعره أعجب به الصاحب لفصاحته وقربه منه وأحضره مجالسه ورأى فيه مخايل ذكاء شديد"[1]

تنقل في حواضر فارس منتجعا أمراءها، حتى ألقى عصاه بهرات وصار أحد وجهائها وعاش بها، رخي البال متسق الحال إلى أن ناده ربه فلباه سنة397هـ، واختلف في موته فقيل مات مسموما، وقيل مات بسكتة فعجل بدفن فأفاق في جدته، وسمع صوته بالليل فنبشوا عليه فوجدوه قد مات من هول القبر"[2]

شيء من أخلاقه:

كان شعره ينم عن بديهة حاضرة وذكاء واسع فإنه يدل على خلق فاضل ونفس عالية قال عنه صاحب اليتيمة، وكان مقبول الصرة خفيف الروح، حسن العشرة، ناصع الطرف، عظيم الخلق، شريف النفس، كريم العهد، خالص الود، حلو الصداقة، مر العدوان"[3]

شعره ونثره:

هو شاعر نثر وهو في كليهما قد ضرب بسهم بعيد المرمى واغترف من بحر عميق الغور إلا أنه البحر العذب، ليه مقامات ودونها رسائل "[4]

---

[1] _المرجع نفسه ، ص14

[2] _أبي الفضل محمد بن حسن الزيات: مقامات بديع الزمان الهمذاني ،شرح:شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص242.

[3] _المصدر نفسه، ص6.

[4] _المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

كتب أربعمائة مقامة في الكدية وغيرها نحلها أبى الفتح الإسكندري على لسان عيسى بن هشام لم يعثروا منها إلا على ثلاث وخمسين مقامة شرحها محمد عبده " [1]

أما الرسائل فلنا قطعة تنئ عن اقتداره وتفوقه كتب إلى الأمير ابن نصر الميكالي يقول : أطال الله بقاء الأمير وبودي أن أكون فاسعد بع دونه ولكن الحريص محروم ، ولو بلغ الرزق فا، لولاه قفاه ، وبعد فإن لي مفاتحة ثقة تعدو وبدا ترتعد ، ولما داك ، والبحر إن لم أره فقد سمعت خبره ومن أي السيف أثره ..."[2]

وله شعر رقيق لم يبلغ من الجودة مبلغ نثره لأن الجمع بين حسن النظم وحسن النثر قلما ما يتفق لأحد "[3]

منه قصيدة في مدح الأمير أبا علي :"[4]

أبي المقام بدار الذل في كرم ****** وهمة تصل التوخيد والخبا

وعزمه لا تزال الدهر ضاربة ****** دون الأمير وفوق المشتري طنبا

يا سيد الأمراء أفخر فلا ملك ****** إلا تمناك مولى واشتهاك أبا

2_نص المقامة البغدادية :

حدثنا عيسى ابن هشام قال: اشتهيت الأزاد وأنا ببغداد وليس معي عقد على نقد فخرجت انتهز محالة حتى أحلني الكرخ ، فإذا بسوادي يسوق بالجهد حماره ويطرف بالعقد إزاره،

---

[1] _محمد حسن الزيات : مقامات بديع الزمان الهمداني ، ص243 .

[2] _المصدر السابق، ص 06.

[3] _محمد حسن الزيات : مقامات بديع الزمان الهمداني ،ص242.

[4] _ محمد محي الدين : مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، ص7.

فقلت : ظفرنا والله بصيد وحياك الله أبا زيد من أين أقبلت ؟ وأين نزلت ؟ ومتى وفيت ؟ وهلم إلى البيت فقال: السوادي لست بأبي زيد ولكني أبو عبيد، فقلت : نعم لعن الله الشيطان وأبعد النسيان ، أنسانيك طول العهد واتصال البعد فكيف حال أبيك ؟ أشاب كعهدي أم شاب بعدي؟ فقال: قد نبت الربيع على دمنته وأرجو أن يصيره الله إلى جنته فقلت: إن لله وإن إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ومددت يد البدار إلى الصدار أريد تمزيقه فقبض السوادي على خصري يجمعه وقال : نشدتك الله لا مزقته ، فقلت هلم إلى البيت فقلت :هلم إلى البيت نصب غداء أو إلى السوق نشتري شواء والسوق أقرب وطعامه أطيب، فاستفزته حمة القرم وعطفته عاطفة اللقم وطمع ولم يعلم أنه وقع، ثم أتينا شواء يتقاطر شواؤه عرقا وتتسايل جوذاباته مرقا فقلت : أفرز لأبي زيد من هدا الشواء ثم زن له من تلك الحلواء واختر له من تلك الأطباق وانضد عليها أوراق الرقاق ، ورش عليها شيئا من ماء السماق ، ليأكله أبو زيد هنيا ، فانحنى الشواء بساطوره على زبدة تنوره ، فجعلها كالكحل سحقا وكالطحن دفنا ، ثم جلس وجلست ولا يئس ولا يئست حتى استوفيناه وقلت : لصاحب الحلوى، زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين فهو أجرى في الحلوق، وأمضى في العروق وليكن ليلي العمر، يومي النشر، رقيق القشر، كثيف الحشو، لؤلئي الذهن، كوكبي اللون، يذوب كالصمغ قبل المضغ ليأكله أبو زيد هنيا، قال: فوزنه ثم قعد وقعدت وجرد وجردت حتى استوفيناه، ثم قلت يأبى زيد ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بالثلج ليقمع هده الصارة، ويفتأ هده اللقم الحارة، إجلس يا أبى زيد حتى نأتيك بسقاء، يأتيك بشربة ماء، ثم

خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني أنظر ما يصنع ، فلما أبطأت عليه قام السوادي إلى حماره فاعتلق الشواء بإزاره وقال : أين ثمن ما أكلت ؟

فقال أبو زيد : أكلته ضيفا فلكمه لكمة وثنى عليه بلطمه، ثم قال الشواء: هاك، ومتى دعوناك؟ زن يا أخا القحة عشرين، فجعل السوادي يبكي ويحل عقده بأسنانه ويقول : كم قلت لذلك القريد، أنا أبو عبيد وهو يقول : أنك أبو زيد، فأنشدت:

أعمل لرزقك كل آلة ****** لا تقعدن بكل حاله

وانهض بكل عظيمة ****** فالمرء يعجز لا محالة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم

المصادر:

1-محمد محي الدين:مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني،مطبعة المقاصد، مصر، د ط، 1923.

المراجع:

1-أبي الفضلل محمد بن حسان الزيات: مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح:شوقي ضيف، الفن ومذاهبه،د ط، د ت.

2-أحمد أمين مصطفى: فن المقامةبين البديع والحريري والسيوطي، ط1، 1441.

3-أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العرب ، دار النهضة، مصر، القاهرة، ج2، د ط، د ت.

4-القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج14.

5-أنيس المقدسي: تطور الأساليب في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط2، 1979.

6-إبراهيم السعافين: أصول المقاملت ، دار المناهل، بيروت، ط1، 1987.

7-ابن إسحاق علي إبراهيم القيرواني: زهرة الأدب: تر: محمد محي الدين عبد المجيد، دار الجبل ، د ط،ج 1، 1972،

8-ابن الأثير الكامل في التاريخ، صححه : محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنا، ط1، 1987.

9-جلال الدين عبد الرحمان السيوطي:تاريخ خلفاء ، دار ابن حزم، ط2002،1.

10-جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، تح:شوقي ضيف، دار الهلال، ط1، 1911.

11-حامد عبد الهول: السخرية في الأدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1982.

12-خليل أبو رحمة ومأمون جرار: فنون النثر العربي القديم، جامعة القدس المفتوحة، ط1، د ت.

13-زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع هجري، بيروت،1972.

14-سكينة قدور : محاضرات في أدب العصر العباسي ، جامعة الأمير عبد القادرللعلوم الإسلامية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية ، قسنطينة،2012-2013.

15-شوقية هجرس: فن الكاريكاتير،الدار اللبنانية القاهرة، مصر، ط1، 2005.

16-شوقي ضيف: المقامة، ط3، مصر، القاهرة، 1954.

17-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، دار النهضة، مصر، القاهرة، ج2، د ط، د ت.

18-عبد الرحمان حركي: الكدية في المقامات الحريرية، د ط، د ت.

19-عمر رضا كحالة: الأدب العربي في الجاهلية والإسلام، مطبعة التعاونية، دمشق، 1972.

20-مارون عبود: أدب العرب، بيروت، د ط،1967.

21-محمد عبد المنعم الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

22-محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، بيروت، د ط، د ت.

23-محمود مصطفى: الأدب العربي وتاريخه،في العصر العباسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1937.

24-مصطفى الشكعة: بديع الزمان الهمذاني، عالم الكتب، بيروت، لبنان ، ط1، د ت.

المعاجم:

1-إسماعيل بن حمادة الجوهري :الصحاح، تح: عبد الغفور عطار، دار الكتب العربي، القاهرة، مادة(قوم)، ج5، 1957.

2-إسماعيل بن عباد: الصاحب ، تر: الشيخ محمد الحسن اليايسين، باب (قوم)، ج6، 385.

3-الفيروز أبادي : المحيط، تر: أنيس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مجلد1، 2010.

4-محمد مرتضي الزبيدي: تاج العروس، بيروت ، لبنان، ج9، 1963.

5-أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة العربية، تر: عبد الحليم النجار ومحمد علي النجار، القاهرة، مادة (قوم)، ج9، 1994.

6-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة(قوم)، 1994.

المجلات والصحف:

1-أشرف محمد الصالح شريف اللبان: الإخراج الصحفي، دار الفكر، القاهرة، مصر، 2001.

2-بيرق جمعة الربيعي: فن الكاريكاتير في الجرائد العراقية (دراسة تحليلية) ، جامعة بغداد، كلية الإعلام ، العدد19، 2013.

3-حسن السوداني: تموز(مجلة فصلية ثقافية تعنى بالآداب والفكر والفن)، 2012.

4-حسنين شفيق: الصحافة المتخصصة المطبوعة الإلكترونية للطباعة والنشر، 2006.

5-عاطف محمد سلامة: الجذور التاريخية لفن الكاريكاتير، صحيفة الحياة الجديدة، 6يونيو 1996.

6-عبد السلام أمين الله: دراسة فنية بديعية (المقامة البغدادية) في مقامات بديع الزمان الهمذاني، مجلة العاصمة، المجلد4، 2012.

الرسائل العلمية:

1-سعاد قرفة و رقية بوغنوط: سميائية الرسم الكاريكاتيري عند هشام بابا أحمد هيك، مذكرة لنيل شهادة الماستر، ميدان اللغة والأدب العربي.

2-صفوة عصام حسني: الصحافة المكتوبة وظاهرة العنف في الجزائر خلال1999، شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلا م والاتصال ، كلية العلوم السياسية والإعلام، الجزائر، 1999.

3- كفاوين شاهد عوض: المقامات الأندلسية في عصر الطوائف والمرابطين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جامعة الملك عبد العزيز، قسم اللغة العربية، 1400-1401.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....ص1-ص6

مدخل.....ص7-ص13

الفصل الأول: مفاهيم إجرائية

أولا: المقامات

1-تعريف المقامة.....ص15-ص21

2-نشأة المقامة.....ص22-ص25

3-خصائص المقامة.....ص26-ص28

4-أغراض وأهداف المقامة.....ص28-ص30

ثانيا: حول الكاريكاتير

1-مفهوم

الكاريكاتير.....ص30-ص34

2-كيف انتقل الكاريكاتير من الرسم (الصورة) إلى النص السردي.....ص35-ص36

ثالثا: المقامة البغدادية

1-تعريف المقامة البغدادية.....ص36-ص37

2-البناء الداخلي للمقامة البغدادية.....ص37-ص38

الفصل الثاني: المشاهد الكاريكاتيرية

أولا: مشهد التهكم.....ص41-ص46

ثانيا: مشهد المبالغة في الوصف.....ص46-ص50

ثالثا: مشهد التقزيم.....ص50-ص54

خاتمة.....ص56-ص58

ملحق.....ص59-ص63

قائمة المصادر والمراجع.....ص65-ص69